الدلالة العرفانيَّة والبنية التركيبيَّة لعتبة العنوان

في السير الذاتيَّة العربيَّة

د/ محمد حسام عبد التواب عبد المجيد عبد الرحيم

أستاذ العلوم اللغويَّة المساعد ـ كلية الآداب ـ جامعة بني سويف

أستاذ العلوم اللغويَّة المساعد ـ كلية الآداب ـ جامعة الجوف

ملخَّص:

يهدف هذا البحث إلى بيان الدلالة العرفانيَّة (التصوُّرات الذهنيَّة) في البنية التركيبيَّة لمنجز عتبة العنوان النصيَّة المحوَّلة بالحذف، في السيرة الذاتيَّة العربيَّة، أحد الأجناس الأدبيَّة، وما نتج عن هذه التصوُّرات من أُطُر تركيبيَّة؛ من أجل جلاء القصديَّة الذهنيَّة الكامنة في عتبة العنوان في مقولة (السيرة الذاتيَّة)؛ فكلّ تركيب سطحيّ ظاهر في عتبة العنوان هو وليد تصوُّر ذهنيّ، أركانه: المقولة والفهم والخيال والتجسُّد.

فرغم وحدة الجنس الأدبيّ (السيرة الذاتيَّة) تعدَّدت العنوانات وتنوَّعت لفظيًّا وتركيبيًّا؛ إثر اختلاف التصوّرات الذهنيَّة عند كتَّاب السير الذاتيَّة العربيَّة، وما يسهم في ذلك من جوانب نفسيَّة وثقافيَّة وبيئية واجتماعية وتاريخيَّة ... مع مراعاة البعدين الزمانيّ والمكانيّ.

تفصح عتبة العنوان في (السيرة الذاتيَّة) عن علاقة المقاصد الدلاليَّة العرفانيَّة بلغويَّة الألفاظ والتراكيب والبنى اللغويَّة، كما تفصح عن علاقة التصورات الذهنيَّة بما هو غير لغويّ؛ لأنَّ الدلالات الواردة في بعض العنوانات –إثر التصوُرات الذهنيَّة- مستوحاة من وشائج عتبة العنوان بالنصّ وما أسهمت به الجوانب الاجتماعيَّة والثقافيَّة والتاريخيَّة والخبرات والتجارب والبيئة العربيَّة (الزمان والمكان) في هذه القصديَّة الدلاليَّة العرفانيَّة في السير الذاتية العربيَّة.

الكلمات المفتاحية: العرفانيَّة – التصوّرات الذهنيَّة – السيرة – التركيب – عتبة – العنوان.

The semantics Significance and Syntactic Structure to the Title Paratexte in Arabic Biographies

Abstract:

This research aims to explain the mystical significance (mental perceptions) to the textual title Paratexte achievement in the Arabic autobiography, one of the literary genres, and the resulting synthetic frameworks. In order to clarify the mental intentionality inherent in the the title paratexte in the saying (the autobiography); Every superficial structure that appears in the paratexte of the title is the result of a mental perception, the pillars of which are: statement, understanding, imagination, and embodiment.

Despite the unity of the literary genre (biography), the titles were numerous and varied verbally and structurally. The impact of the different mental perceptions of Arab autobiographers, and those who contribute to this from psychological, cultural, environmental, social and historical aspects ... taking into account Dimension of time and place.

The paratexte of the title in (The Autobiography) discloses the relationship of the semantic mystical purposes to the linguistic expressions, structures and linguistic structures, as well as the relationship of mental perceptions with what is non-linguistic. Because the semantics contained in some titles - as a result of mental perceptions - are inspired by the links between the paratexte of the title and the text, and what the social, cultural, historical aspects, experiences, and the Arab environment (time and place) contributed to this gnostic semantic intent in Arab biographies.

Keywords: significations - mental perceptions - biography - structure - Paratexte – title.

مقدِّمة:

أولت الدراسات اللغويَّة اللسانيَّات العرفانيَّة عناية كبيرة منذ سبعينيات القرن العشرين؛ وأفردتها بالبحث والدراسة منذ ذلك الوقت حتى العام الثالث والعشرين من بداية القرن الحادي والعشرين؛ لما للتصوّرات الذهنيَّة والدلالات العرفانيَّة من أثر في توليد البنية التركيبيَّة.

وأوليت العتبات النصيَّة، عناية واسعة من اتِّجاهات متعدِّدة، كالسيميائيَّة والشعريَّة ... وأفرد العلماء في عتبة العنوان أو علم العنونة أو النصّ الموازي متونًا خاصَّة، أمثال: ليو هوك وجيرار جينيت ...

واختيرت عتبة العنوان في السيرة الذاتيَّة لدراستها من ناحية الدلالة العرفانيَّة من خلال استخدام **المنهج الوصفيّ التحليليّ**؛ لوحدة مضمونها وموضوعها، مع تنوُّع ألفاظها وتعدُّد تراكيبها عند الكتَّاب أجمعين؛ من أجل تحقيق **أهداف البحث** المرجوَّة، وهي: استنتاج الدلالات العرفانيَّة والتصوّرات الذهنيَّة الكامنة في البنية التركيبيَّة لعتبة العنوان في السير الذاتيَّة العربيَّة: المصريَّة والسعوديَّة والسوريَّة والفلسطينيَّة والعراقيَّة واللبنانيَّة والكويتيَّة.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يقسَّم ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: الدلالة العرفانيَّة.

المبحث الثاني: الدلالة العرفانيَّة والبنية التركيبيَّة الإفراديَّة.

المبحث الثالث: الدلالة العرفانيَّة والبنية التركيبيَّة غير الإفراديَّة:

أوَّلاً: الدلالة العرفانيَّة والبنية التركيبيَّة الإضافيَّة.

ثانيًا: الدلالة العرفانيَّة والبنية التركيبيَّة الوصفيَّة.

المبحث الأوَّل

الدلالة العرفانيَّة

مرَّت اللسانيَّات منذ نشأتها حتى السنة الثالثة والعشرين بعد الألفين، بعهدين، أوَّلهما: عهد التركيب؛ إذْ كان التركيبُ هو البؤرة والأصل الأوَّل الذي يفصح عن الدلالات المرجوَّة أو المقصودة، والعهد الآخر: عهد الدلالة العرفانيَّة أو التصوُّرات الذهنيَّة؛ إذْ تتمخَّض فيه التصوُّرات الذهنيَّة عن الأطر التركيبيَّة، ويمكن التعبير عن هذه الثنائيَّة بما يلي:

- العهد1: أفصح التركيب عن الدلالة= (التركيب أوَّلاً).
- العهد2: تمخَّضت العرفانيَّة عن التركيب= (الدلالة أوّلاً).

تعتمد العتبات(1) النصيَّة على مبادئ أساسيَّة كالمكانيَّة والزمانيَّة والماديَّة والتداوليَّة والوظيفية(2)؛ فثمَّة عتبات ذات بعد زمانيّ، وعتبات ذات بعد مكانيّ، وعتبات تدلّ على حدث أو وصف... وغير ذلك ممَّا يكمن في القصديَّة الدلاليَّة العرفانيَّة إثر التصوُّرات الذهنيَّة.

ويعدُّ العنوان خطابًا مقصودًا لا اعتباطيَّة فيه(3)، والعنوان الرئيس نظام سيميائيّ ذو أبعاد دلاليَّة رمزيَّة وأيقونيَّة، فهو عتبة النص للمتلقّي(4)، وهويَّة النصّ وحامل أفكاره، وذو دلالة على مستوى البنيتين السطحيَّة والعميقة.(5)

والعنوان عند لو هويك Loe Hoek في كتابه سمة العنوان: مجموعة من العلاقات النصيَّة من كلمات وجمل ونصوص تظهر على رأس النصّ لتدلّ عليه وتعيّنه؛ لتشير لمحتواه

(1) (عتبة) ترجمة للمصطلح الإنجليزيّ Paratexte، والفرنسيّ seuil.

(2) انظر: مفهوم مصطلح العتبات النصية، خالد بن سريان ساري الحربي، فكر وإبداع، ج130، أكتوبر 2019م، ص291، 292.

(3) انظر: دلالة العنوان في المتن الروائي الجزائري، فريد حلمي، مجلة منتدى الأستاذ،ع15، جانفي 2015م، ص192.

(4) انظر: سيمياء العنوان في الدرس اللغوي، عيسى عودة برهومة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع97/ 25، 2007م، ص141، 152.

(5) انظر: استراتيجية العنونة ودلالاتها في قصص سناء شعلان، محمد وهاب، مجلة Kiraat، كلية الآداب واللغات، جامعة معسكر، الجزائر، مج8، ع1، مارس 2019م، ص117.

الكلّيّ ولتجذب جمهوره المستهدف.[6]، وهو أهم ما يحيط بالنصّ ويسيجه؛ إذ يلقي بحمولاته الدلاليَّة على النصّ، فيسمّيه ويختزله، كما أنَّه يتعالق بالمضمون لفظيًّا ودلاليًّا، وهو مفتاح مغاليق النصّ[7]؛ أي هو اختزال للزخم المعرفيّ والخياليّ في جمل مقتضبة، قد توقع القارئ في شرك الغموض والدهشة وكسر أفق التوقّع أحيانًا.[8]

ولعتبة العنوان أربع وظائف، أوَّلها: الوظيفة التعريفيَّة التي تعيِّن اسم الكتاب وتعرِّف القرَّاء به بدقَّة ووضوح، وثانيها: الوظيفة الوصفيَّة: التي تصف النصّ وتلخِّصه وتدلُّ عليه، وثلثها: الوظيفة الإيحائيَّة قصديَّةً كان أو غير قصديَّة، وآخرها: الوظيفة الإغرائيَّة المشوِّقة للقارئ.[9]

إنَّ اللغة كلّها عرفان؛ فالعتبات المتفجِّرة من التصوُّرات الذهنيَّة تستنطق دلاليًّا ومعجميًّا ولفظيًّا وتركيبيًّا وتداوليًّا وخطابيًّا وبلاغيًّا ... فتفصح عن الأسرار الدلاليَّة العرفانيَّة؛ ممَّا أنتج تعدُّدًا لفظيًّا وتركيبيًّا في عناوين الجنس الأدبيّ الواحد (السير الذاتيَّة) في الأقطار العربيَّة.

فالعنوان وليد تصوُّرات ذهنيَّة أسهمت فيها الجوانب الاجتماعيَّة والنفسيَّة والثقافيَّة والتاريخيَّة ... وهذه كلّها اقتضبت في مختارات لفظيَّة تضمَّنتها العتبات العنوانيَّة الإفراديَّة وغير الإفراديَة؛ بغية تحقيق المقاصد الدلاليَّة.

ويشكِّل العنوان وحدة لسانيَّة أو مجموعة وحدات قابلة للتحليل معجميًّا ونحويًّا ودلاليًّا[10]، وقد ترد عبارة (سيرة ذاتيَّة) في العنوان المصاحب أو الفرعيّ التجنيسيّ؛ لتحيل إلى مرجع واقعيّ وحياة مفترضة للمؤلّف أو السارد.[11]

---

(6) انظر: عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد، تقديم: سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م، ص67.

(7) انظر: مقاربة العنوان: البنية والدلالة – رواية (النص الناقص) لعائشة الأصفر أنموذجا، نعيمة محمد الفلاح، مجلة الساتل، السنة 13، ع21، سبتمبر 2019م، ص97، 98.

(8) انظر: مقاربة العنوان: البنية والدلالة – رواية (النص الناقص)، ص98.

(9) انظر: مفهوم مصطلح العتبات النصية، ص299، 300.

(10) انظر: دلالة العنوان ووظيفته في رواية اللهب المقدس لمفدي زكريا، يوسف العايب، مجلة مقاليد، ع6، جوان 2014م، ص77.

(11) انظر: عتبات النص الأدبي بحث نظري، حميد لحمداني، علامات، ج46، مج12، ديسمبر 2002م، ص39، 40.

لقد أفصح الكشف عن دلالات العنوان ووظائفه عن دور هذه العتبة في إيضاح قصديَّة التصوّرات الذهنيَّة؛ فالعنوان يتعالق بما هو لغويّ لفظيًّا ودلاليًّا وبلاغيًّا، وبما هو غير لغويّ، من جوانب اجتماعيَّة وثقافيَّة وتاريخيَّة ونفسيَّة وبيئيَّة، مع مراعاة البعدين الزمانيّ والمكانيّ.

أصبح ينظر إلى اللغة بكونها وجهًا أساسًا من وجوه الإدراك وليست قالبًا منفصلاً أو ملكة ذهنيَّة مستقلَّة؛ فالبنية التركيبيَّة اللغويَّة تحلَّل، قدر الإمكان، في إطار الأنظمة الأساسيَّة مثل الإدراكات الحسيَّة والانتباه ... ولا يستقلّ التركيب عن المعنى والسياق والخلفيَّة المعرفيَّة والذاكرة والتشغيل المعرفيّ والقصد التواصليّ ...[12]

وللدلالة العرفانيَّة قدرتان، الأولى: القدرة الذهنيَّة للمتكلِّم، والأخيرة: قدرة المتكلِّم على اختيار الألفاظ والتراكيب التي تحقِّق الدلالات العرفانيَة المقصودة، تسهم في ذلك جوانب لغويَّة وغير لغويَّة.

وكان للبيئة وأحداثها بصمة خاصَّة في التصوُّرات الذهنيَّة التي نتج عنها التراكيب اللغويَّة؛ إذْ تأثَّر الكاتب ببيئته وتجاربه في اختيار ألفاظ عتبة العنوان في السير الذاتيَّة العربيَّة.

تدرس اللسانيَّات العرفانيَّة العمليات العقليَّة المتَّصلة باللغة؛ أي تدرس طبيعة العلاقة بين اللغة والعقل (الذهن)، تلك العلاقة التي تجمع العقل البشريّ واللغة داخل موقف اجتماعيّ معيَّن في بيئة معيَّنة؛ فالعرفان هو النشاط الذهنيّ المعني به اكتساب المعارف وتخزينها واستخدامها؛ ومن ثمّ يدخل فيه الإدراك السمعيّ والبصريّ.[13]

وتدرس اللسانيَّات العرفانيَّة اللغة بوصفها انعكاسًا للذهن البشريّ، ولها فرعان: النحو العرفانيّ والدلالة العرفانيّة[14]؛ فالنشاط اللغويّ يخضع لمعطيات بيولوجيّة، وتحيط به

(12) انظر: اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، بريجيت يرلش وديفيد كلارك، نقله عن اللغة الإنجليزية: حافظ إسماعيل علوي، مجلة أنساق، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، مج1، ع1، مايو 2017، ص272، 273.

(13) انظر: أثر اللسانيات العرفانية في هندسة المهارات الذهنية انطلاقا من اللغة، فاطمة سعدي، جسور المعرفة، مج8، ع1، مارس 2022م، ص182، 183.

(14) انظر: دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، عبد الرحمن طعمة وآخرين، تحرير: صابر الحباشة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط1، 2019م، ص97.

مجموعة من العوامل الاجتماعيّة والثقافيَّة[15]؛ ومن ثمَّ فالبنية التصوريَّة عند العرفانيّين تخصّ كلّ المعارف التي تُصنع في الذهن ولها علاقة بتجارب الإنسان المختلفة.[16]

لقد كان حضور الدلالة ضعيفًا في المقاربات اللسانيَّة قبل العرفانيَّة، ثم اتَّسع فضاؤها عند العرفانيّين فحظيت بحضور قويّ لافت في الفكر اللسانيّ العرفانيّ، ومع التوجُّه العرفانيّ أصبحت الدلالة، بوصفها عمليَّة ذهنيَّة؛ أساس عملية الإنتاج والتقبّل في استعمال اللغة؛ فالمعاني عند العرفانيّين تحدث في الذهن، والصورة الذهنيَّة هي أُسّ الأبنية اللفظيَّة اللغويَّة بمختلف مستوياتها؛ ولذلك يبدو المكوّن الدلاليّ مكونًا تكوينيًا لا يبنى فقط من تفاعل مختلف الأبنية اللغويَّة فيما بينها؛ بل –أيضًا- من معطيات قد تُستَمَدّ من خارج اللغة؛ أي من مجالات العرفان الإنسانيّ المختلفة، التي تسهم كلّها في بناء تصوُّر الدلالة عند العرفانيّين[17]، كالجوانب الاجتماعيَّة والثقافيَّة والتاريخيَّة والنفسيَّة ...

وللمعنى الذهنيّ بعدان: عصبيّ ولسانيّ، فأمَّا البعد العصبيّ والأنطولوجيّ (البنية الداخليّة) فهو مجموعة من التمثيلات المتنوّعة التي يمتلكها المتكلِّم لكلمات لغته (المخزون الذهنيّ)؛ أي التمثيل الصوتيّ ثم الإملائيّ ثم المورفولوجيّ ثم النحويّ ثم الدلاليّ. وأمَّا البعد اللسانيّ (التحقّق التواصليّ) فهو مجموع الوحدات التي تدلُّ على معنى ما فيما يمتلكه الفرد من مخزونه سواء وظَّفها في أثناء عمليَّة التوليد (المعجم التعبيريّ) أو في أثناء التحليل (معجم التلقّي).[18]

(15) انظر: دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، ص97.

(16) انظر: من اللسانيات التوليدية إلى اللسانيات العرفانية تحولات المباحث والمفاهيم، عبد السلام عابي، والنذير ضبعي، مجلة اللسانيات مج24، ع1، 2018م، ص132.

(17) انظر: الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب/ الإعراب في إنتاج الكلام وتأويله، منانة حمزة الصفاقسي، اللسانيات العربيَّة، ع2، سبتمبر 2001م، ص95، 96، 98.

(18) انظر: دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، ص25.

ولمَّا كانت العلاقات التركيبيَّة في لغة الإنسان: معنويَّة (دلالة)، وشكليَّة (صرف)، ووظيفيَّة (نحو)، إضافة إلى الظواهر الصوتيَّة (الفونولوجيَّة)؛ فهي تتفاعل جميعًا للتوافق مع البنية التصوريَّة العرفانيَّة.(19)

إنَّ المعنى بوصفه الجانب المتحقّق من الدلالة، تجاوز عند العرفانيّين المعنى المعجميّ والمعنى المتقوّم بالسمات الدلاليَّة المجرَّدة باستقراء الاستعمال؛ ليصبح عمليَّة فكريَّة تتشكَّل بمقتضاها صورة من الصور الذهنيَّة، وتسهم في إنشاء هذه الصورة جوانب ثقافيَّة وتاريخيَّة ونفسيَّة واجتماعيَّة ...(20)

فدلالة العبارة عند العرفانيّين تُضبط من وجهين، الأوَّل: المضمون الذهنيّ المتصوّر، وهو مشترك بين البشر، والآخر: القدرة الذاتيَّة الخاصَّة بكلّ فرد على حدة، وتعبّر عن طريقته في اختيار ما يراه صالحًا للتعبير عن ذلك المضمون الذهنيّ(21)؛ ولذلك فالمعوَّل عليه في الدراسات العرفانيَّة هو تنشيط العمليات الذهنيَّة في إنتاج الدلالة(22)، فمادة المعنى هي الطبيعة الخارجيَّة المنطبعة في ذهن الإنسان.(23)

إنَّ كلّ لفظ أو تركيب لغويّ مختار في عتبة العنوان هو نتاج التصوُّرات الذهنيَّة التي أسهمت فيها الجوانب غير اللغويَّة كالجوانب النفسيَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة والتاريخيَّة ... مع مراعاة الأبعاد الزمانيَّة والمكانيَّة.

قد تشترك مجموعة وحدات معجميَّة في قاعدة دلاليَّة واحدة؛ لكنَّ كلاًّ منها له صورة خاصَّة، مثال: الخنصر – البنصر – السبابة – الإبهام، تدلُّ كلُّها على قاعدة معنويَّة هي (اليد) لكنَّ كلَّ لفظ منها هو وجه معجميّ دلاليّ خاص ومتميز عن غيره من بقية وجوه القاعدة الدلاليَّة (اليد) وبالتصوّر نفسه تتمايز المكوّنات التركيبيَّة في بنية الجملة(24)، والأمر نفسه في عنوانات

(19) انظر: دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، ص28.
(20) انظر: الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، ص97.
(21) انظر: الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، ص97.
(22) انظر: دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، ص9.
(23) انظر: دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، ص22.
(24) انظر: الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، ص97.

السيرة الذاتيَّة العربيَّة؛ فهي جنس أدبيّ واحد؛ لكنَّ العنوانات جاءت في بنى وتراكيب متعدِّدة؛ إثر التصوُّرات الذهنيَّة الخاصَّة، وما يسهم فيها من جوانب اجتماعيَّة ونفسيَّة وثقافيَّة وتاريخيَّة وبيئيَّة ...

تبدو الدلالة العرفانيَّة (الإدراكيَّة) قدرة ذهنيَّة أو عمليات تصوريَّة ذهنيَّة كامنة في الأذهان تتحقق في الأنظمة اللغويَّة ... هذا ما يسمى التمثيل أو الصورة الذي اعتمده العرفانيّون مقوِّمًا أساسيًّا لعلم الدلالة. يظهر ذلك في تمييز العرفانيّين بين مفهوم الدلالة من ناحية والمعنى من ناحية أخرى؛ فالمعنى هو الجزء المتحقّق الذي يمثّل أحد الامتدادات الممكنة للدلالة أيًّا كانت مستوياته المنجزة، وتتَّخذ الدلالة معاني عباريَّة ذات أشكال تركيبيَّة أو معجميَّة ... ذات صلات بمعارف متعدّدة الأبعاد، نفسيَّة أو اجتماعيَّة أو ثقافيَّة أو تاريخيّة ... وهذه الجوانب كلّها تسهم في إنشاء المعنى اللسانيّ وحسن تقبّله.[25]

يعدُّ **مفهوم الصورة** التي تحدث في تخييل المتكلّم أو الوجه، من أهم الآليَّات المتحكِّمة في مستوى التنظيم اللغويّ، وتكون هناك وحدة أكثر بروزًا وهو **وجه العلاقة**، وكثيرًا ما يقوم بهذا الدور الفاعل والمبتدأ، ووحدة أقلّ بروزًا في البنية التركيبيَّة هي الدلالة المتصوّرة كالنعت بالنسبة للمنعوت والمضاف بالنسبة للمضاف إليه، وقد يحدث العكس فيكون المضاف إليه هو العنصر البارز؛ حيث تتحكّم في تحديده البنية الدلاليّة التركيبيّة المستعملة للتعبير عن مقصد المتكلّم؛ أي ترتبط البنية التركيبيَّة بقدرة المتكلّم على اختيار شكل عباريّ يضمن تحقيق المضامين الدلاليَّة المقصودة؛ ومن ثم فقاعدة الأكثر بروزًا ليست قاعدة مطَّردة مطلقًا.[26]

إنَّ **مفهوم البروز** ليس موكولاً للتركيب فقط؛ إنّما تتحكّم في تحديده البنية الدلاليّة المستعملة للتعبير عن مقصد المتكلّم؛ فالأبنية التركيبيَّة مرتبطة بقدرة المتكلّم على اختيار شكل عباريّ يضمن تحقيق المضامين الدلاليَّة المقصودة؛ لذلك تبدو الدلالة العرفانيَّة

(25) انظر: الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، ص98، 99.

(26) انظر: الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، ص98.

(الإدراكيَّة) قدرة ذهنيَّة أو عمليات تصوريَّة ذهنيَّة كامنة في الأذهان، تتحقَّق في الأنظمة اللغويَّة عند المتكلِّم والسامع[27]، الأنظمة العرفانيَّة عند المتكلِّم، والتداوليَّة عند السامع.

فثمَّة جوانب تسهم في إنشاء الدلالة العرفانيَّة، نفسيَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة وتاريخيَّة ... أي تكمن الدلالة العرفانيَّة فيما هو لغويّ وما هو غير لغويّ.[28]

والتركيب المتولَّد من التصورات الذهنيَّة يسهم في جلاء الدلالة العرفانيَّة، وهو ينقسم قسمين: الأوَّل: العنصر الأكثر بروزًا كالفاعل والمبتدأ غالبًا، والآخر: العنصر الأقل بروزًا كالنعت والمضاف إليه غالبًا.

تستند الدلالة العرفانيَّة الإدراكيَّة إلى نظريات دلاليَّة في تفسير الآليات الإدراكيَّة أو العقليَّة لإنشاء المعنى، هي: المخطَّط الصوري، والأحياز العقليَّة، والأطر الذهنيَّة، والمجاز:[29]

1- **نظرية المخطط الصوريّ (هامب):** تعتمد الصور البلاغيَّة المجازيَّة على صور يرسمها العقل البشريّ حسب الوسائل الماديَّة المحسوسة لاستيعابه؛ فيصوِّر الكرم والسخاء بتشبيه صاحبه بالبحر أو بشخصية حاتم الطائي، ويصوِّر الشجاعة بالأسد، ووفقًا لهذ النظرية هناك **المنهج الهدف** الذي يتمثَّل في النماذج العقليَّة المجرَّدة، **والمنهج المصدر** الذي يتجسَّد في الفضاء الواقعيّ المحسوس، ثم يربط بينهما للوصول إلى الإدراك العقليّ.

2- **نظريّة الأحياز العقليَّة (فوكنر):** إنَّ صناعة معنى معيَّن تكون بالانتقال من العالم الواقعيّ إلى العالم الذهنيّ، ومن ذلك في اللغة أسلوب الشرط والتمنِّي، نحو: لو سعيت بلغت مناك؛ فبلوغ المنى أمر ذهنيّ بعيد عن الواقع الحال، ومنه قول القائل: ليت الشباب يعود؛ فلصعوبة الشيب؛ صوَّر القائل عودة الشباب بصورة ذهنيَّة مستحيلة، لا تتحقَّق في العالم الواقعيّ.

3- **نظرية الأُطر الذهنيَّة (فيلمور):** المفهوم الواحد يحتوي على مجموعة من الأُطر، فـ(الأولاد) يتضمَّن الزوجة والأولاد والبنات، و(البيت) يتضمَّن الصالة والغرف والحديقة والسطح ...

(27) انظر: الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، ص98.

(28) انظر: الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، ص99.

(29) انظر: علم الدلالة الإدراكي المبادئ والتطبيقات، دلخوش جار الله حسين دزه يى، مجلة الآداب، ع110، 2014م، ص60 – 62.

4- **نظرية المجاز (لايكوف):** الاستعارات التي بها نحيا؛ فاللغة كلّها مجاز.

يتبيَّن أنَّ البنية التركيبيَّة عند العرفانيّين قرينة على جانب من جوانب الصورة الذهنيَّة، ولا تنفصل عن الظواهر اللغويَّة الأخرى؛ لأنَّها تسهم مجتمعة في بناء المعنى وتشكّله.(30)

ولذلك يختلف الأفراد في التعبير عن الحدث الواحد، وتختلف ضروب العبارة التي يصوغها المتكلّم الواحد تعبيرًا عن معاني متقاربة يحكمها مضمون دلاليّ واحد نتيجة التصوّر الذهنيّ، مثال على ذلك التعبير عن وصف السفر عند متكلِّمَين:

- المتكلِّم الأوّل: 1- السفر يرفِّه عن النفس. 2- أستمتع بالسفر كثيرًا.
- المتكلِّم الثاني: 3- السفر يفرِّق بين الأصدقاء. 4- أوجعني طول السفر.

فالتعبير عن السفر في أذهان المتكلّمَين يختلف بين الأوّل والثاني، ويفسَّر ذلك من جهة اللسانيَّات العرفانيَّة (الإدراكيَّة) بأنَّه خلاف في ضوء قراءة دالّة على نفسيّة كلٍّ منهما في وصف السفر. فالمتكلّم الأوّل محبّ للسفر ومن هذه الزاوية العاطفيَّة النفسيَّة اختار بنية تركيبيّة دالّة على المقصد الذي أراده لتحديد رؤيته لحدث السفر. أمَّا المتكلّم الثاني فقد اختار زاوية أخرى لوصف حدث السفر لها صلة بمزاجه النفسيّ الذي يبدو مرتبطًا بسفر صديق؛ ومن ثم وصف السفر من جانبه القسوة والواقع المضني. لكن يظهر الخلاف بصورة أكبر عن الموازنة بين موقعي المتكلِّم في كلّ مشهد. فالمتكلِّم يضع نفسه خلف المشهدين 1 و 3 ويحمّل العبارة المستعملة صورة تكشف عن موقفه من السفر بكونه مصدر ترفيه في (1) وسبب فراق في (3)، ثم يتغيَّر الموقع في المشهدين 2 و 4 فيصبح المتكلّم بارزًا ليعبِّر عمَّا يحدثه السفر في نفسه من متعة في (2) ومن وجع في (4)، ولقد اختار كلٌّ منهما في المرّة الأولى جملة اسميَّة وفي المرّة الثانية جملة فعليَّة.(31)

واللغة ليست فقط القوانين النحويَّة المتحكّمة في مستويات التحليل المعروفة؛ بل إنَّ حقيقة القوانين لا تدرك إلاَّ باعتماد معارف وثيقة الصلة بالمتكلّم والسامع وبملابسات

(30) انظر: الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، ص100.

(31) انظر: الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، ص104.

الخطاب؛ فقد يتعذّر أن يفسّر بالتركيب وحده اختلاف متكلّمين في التعبير عن المعطى نفسه بملفوظين مختلفين. مثال: أستاذ يسأل الطلاب عن وصف وقع النجاح في نفوسهم؛ الأكيد أنَّه سيحصل على صور متعدّدة مختلفة من التراكيب؛ فقد يختار بعضهم تراكيب اسميّة، وقد يختار بعضهم تراكيب فعليّة، وقد يكتفي بعضهم بمجرَّد وصف الإحساس بمفرده، وقد يسعى آخرون لتعديد الأوصاف ... وفي هذا كلِّه قد يستعمل الطالب أشياء الكون المجسَّدة في العالم الخارجيّ في وصفه لفرحته، كما يمكن أن يستعمل صورًا ذات إحالات مجازيَّة، نحو: أكاد من الفرح أطير. ومثال آخر: قد يختلف قول متلفِّظ واحد: أحبُّ الموسيقى / الموسيقى تحلو لي؛ فعبَّر عن التجربة نفسها بتركيبين، جعل نفسه فاعلاً في الأوَّل ومفعولاً في الثاني؛ فالتجربة المعيشة يكوّنها الإنسان بألفاظ تعكس صورًا مختلفة، ويرتبط ذلك بما يوجد في الأذهان من قدرة على التخييل.[32]

ويمكن القول: تعتمد الدلالات العرفانيَّة على محورين، الأوَّل: التصوُّرات الذهنيَّة للمتكلِّم، والآخر: قدرة المتكلِّم على اختيار الألفاظ والتراكيب التي تحقِّق الدلالات العرفانيَّة المقصودة؛ على أن يراعي الأبعاد الزمانيَّة والمكانيَّة، ويسهم في هذه التصوُّرات الذهنيَّة مجموعة من الجوانب النفسيَّة الثقافيَّة والاجتماعيَّة والبيئيَّة والتاريخيَّة ...

(32) انظر: الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، ص91 – 93.

المبحث الثاني

الدلالة العرفانيَّة والبنية التركيبيَّة الإفراديَّة

تفصح بنية عتبة العنوان عن مكنون التصوُّرات الذهنيَّة وقصديَّتها، وعلاقة العنوان بالنصّ؛ فالتركيب العنوانيّ بنية صغرى لبنية النصِّ الكبرى، والوحدات اللغويَّة في عتبة العنوان وما يعتريها من تحويل وشيج الصلة بالتصوّرات الذهنيَّة، والدلالات العرفانيَّة.

إنَّ التوجّه العرفانيّ في معالجة الظواهر اللغويَّة يقوم على افتراض وجود تصوّرات ذهنيَّة تحكم المنجزات اللغويّة على مراحل لا يتدخَّل في إنشائها ما هو لغويّ فحسب؛ بل تستمدّ العناصر المعنويّة من مختلف مجالات العرفان الإنسانيّ الأخرى، تبعًا للمخزون النفسيّ لكلّ متكلّم وخبراته وتجاربه وعلاقته بالمتلقِّي ... ويتحكَّم ذلك كلُّه في البنى التركيبيَّة المختارة.[33]

فثمَّة قدرات عرفانيَّة كامنة تتذبذب ترددِيًّا بين الذهن والفكر؛ الذهن بوصفه استعدادًا فطريًّا هو فضاء المجرَّدات، والفكر بوصفه امتدادًا للذهن، وبكونه مجالاً للمنتج بالتجربة متولدًا عن الذهن؛ ومن ثم فالمعاني المعبّر عنها بالألفاظ هي ضروب من التشكيل لتصوّرات تحدث في الأذهان أوّلاً[34]؛ ويمكن القول: إنَّ اللغة كلّها عرفان، والتركيب فرع الدلالة العرفانيَّة.

يرى العرفانيّون أنَّ العمليات الذهنيَّة سابقة للأبنية التركيبيَّة، فالمعنى موكل إلى العمليَّات الذهنيَّة، حتى أصبح التشكُّل الدلاليّ المتجسّد في العمليات الذهنيّة هو الناظم للبنى التركيبيّة؛ والدلالة، بوصفها تصوّرات ذهنيَّة خالصة، تحدِّد الأبنية التركيبيَّة المتوسّل بها لبناء المشهد الحامل لمقصد المتكلِّم، يدخل في ذلك الأبعاد الزمانيَّة والمكانيَّة والنفسيَّة ...[35]

(33) انظر: الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، ص105.

(34) انظر: الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، ص92 – 95.

(35) انظر: الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، ص103، 105.

فالمنجز اللغويّ التعبيريّ في اللسانيَّات العرفانيَّة عن وصف شيء ما، كـ(البحر) عند المتكلِّمين يتعدَّد؛ إثر التصورات الذهنيَّة المخزونة نتيجة التجارب والخبرات والجوانب النفسيّة والاجتماعيَّة وغيرها.

المتكلِّم1: البحرُ مفتاح السعادة/ أعشق البحرَ؛ حيث إنَّه يقضي إجازاته على البحر.

المتكلِّم2: البحرُ يفرِّق الأحباب/ أكره البحرَ؛ حيث إنَّه فقد صديقًا غرقًا في البحر.

المتكلِّم3: البحرُ بوابة الانطلاق والاستمتاع بالسفر/ يروقني البحرُ؛ حيث إنَّه يسافر بحرًا.

فيتجلَّى بروز المتكلِّم في بعض البنى التركيبيَّة، وبروز المتكلَّم عنه (البحر) في بعضها الآخر.

ويمكن مقاربة الدلالة العرفانيَّة (التصوُّر الذهنيّ) من خلال أربعة مبادئ، تعدُّ مفاتيح أساسيَّة لإدراك المعنى كما يؤسِّس له علم الدلالة العرفانيّ:[36]

أوّلاً: المقولة: هي العمليَّة العقليَّة التي تقوم على ضمِّ مجموعة من الأشياء المختلفة في صنف يجمعها[37]؛ وانتماء شيء ما إلى مقولة ما يقتضي امتلاك ذلك الشيء الشروط الضروريّة والكافية، فمقولة (الطير) تُحدَّد بـ: حيوان، يبيض، له منقار، له ريش، وجميعها شروط ضروريَّة؛ وعلى ما ينتمي إلى هذه المقولة أن يتوافر فيه هذه الخصائص الضروريَّة والكافية؛ إذ يقتضي شرط الكفاية اجتماع هذه الخصائص فيما ينتمي إلى هذه المقولة.[38]

وتقاس درجة الانتماء للمقولة بدرجة التمثيل، والمقولة ذات بنية عرفانيَّة (طرازيَّة) متدرّجة؛ فالحكم على عنصر ما بكونه أكثر تمثيلاً للمقولة، يعني أنَّه يكتسب درجة الانتماء

(36) انظر: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفانيّ، محمد الصالح البوعمراني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2009م، ص7 – 9، والاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (النموذج الشبكي – البنية التصورية – النظرية العرفانية)، عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2014م، ص54، 55.

(37) انظر: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، ص54.

(38) انظر: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص141، 142.

الأفضل[39]، ويكون التشابه بين ما ينتمي للمقولة عند العرفانيّين تشابهًا إجماليًّا كليًّا لا جزئيًّا.[40]

ثانيًا: الفَهم: المعنى مكوّن طبيعيّ للأشياء وموجود فيها، وما نقوم به هو التعرّف عليه، وهذا التعرّف يختلف من شخص لآخر؛ حسب نسبيَّة إدراك الأشخاص للأشياء؛ فالمعنى أكبر من الإدراك المحدود للأشخاص.[41]

فالمعنى موجود في الأشياء سلفًا قبل الوعي به، مع نسبيّة الفهم الذي ينطلق من النظام التصوريّ المؤسّس على نظام ثقافيّ معيَّن؛ فالفهم يختلف باختلاف الثقافة واختلاف الأنظمة التصوريَّة المبنيَّة على هذه الثقافة؛ وهو نسبي حسب زاوية النظر للأشياء؛ أي تبعًا للإدراك النسبيّ، ومن الأمثلة التي يتداولها العرفانيّون مقولة الصور الملتبسة أو الخداع البصريّ، التي تختلف باختلاف زاوية النظر عند كلّ شخص.[42]

ثالثًا: الخيال: هو جوهر المعنى والتفكير الإنسانيّ، ويبيّن جزءًا كبيرًا من التصوّر الذهنيّ، وخاصة الاستعارة منذ صدور كتاب لايكوف وجونسون (الاستعارات التي نحيا بها)[43]، 1980م؛ حيث كان هذا المؤلَّف من أوائل اللبنات في صرح اللسانيَّات الإدراكيَّة (العرفانيَّة).

أدرك لايكوف أنَّ الصور البلاغيَّة كالاستعارة والكناية ليست فقط مجرد تنميقات لغويَّة أو انزياحات؛ بل هي جزء من الكلام اليوميّ الذي يؤثِّر في طرائق الإدراك والتفكير والفعل[44]؛ فجوهر الاستعارة يكمن في الفهم والإحساس بشيء ما من خلال منظورنا لشيء

(39) انظر: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص147.
(40) انظر: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص153.
(41) انظر: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، ص55.
(42) انظر: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص155.
(43) انظر: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص7 – 9.
(44) انظر: اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، ص273.

آخر، والاستعارة ليست مادة لغويَّة بحتة أو مجرَّد كلمات؛ لأنَّ عمليَّة التفكير ذات طبيعة مجازيَّة بدرجة كبيرة.(45)

الاستعارة عملية إدراكيّة كامنة في الذهن تؤسِّس أنظمتنا التصوّريَّة؛ فهي ذات طبيعة تصوريَّة لا لسانيَّة؛ إذ تبدأ بعمليَّة تصوريَّة عقليَّة ثم عمليَّة لغويَّة يُنطق فيها بهذه الاستعارة.(46)

فليست الاستعارة أداة للخيال الشعريّ والسحر البيانيّ فقط، ولا تقتصر على لغة الأدب فوق العاديَّة، وليست سمة لغويَّة محضة فحسب مادتها المفردات وليس الفكر أو العمل؛ إنما هي منتشرة في لغة الحياة اليوميَّة العاديَّة، وليس ذلك فحسب؛ بل في أفكار الناس وممارستهم أعمالهم؛ فنظام الإدراك، الذي يفكر الناس بواسطته، ذو طبيعة مجازيَّة في الأساس.(47)

فلكلِّ تشكيل لغويّ مستويان، **الأوَّل:** الوظيفيّ النفعيّ الذي يتجلَّى في المستوى العادي المألوف، **والآخر:** الإبداعيّ الفنّيّ الذي يتمثَّل في اختراق الاستعمال الشائع المألوف للغة(48)، وهو ما يسمَّى الانزياح.

والانزياح نوعان، **الأوَّل:** الاستبداليّ الدلاليّ: الذي يتعلّق بجوهر المادَّة اللغويَّة، وأهم مظاهره الاستعارة، **والآخر:** التركيبيّ: الذي يتعلَّق بتركيب المفردة مع جاراتها في السياق، وأهم مظاهره الحذف والتقديم والتأخير والتكرار ...(49)

(45) انظر: استعارات بها نحيا، جورج لاكون ومارك جونسون، ترجمة: أنور وقيع الله وهمية باعشن، نوافذ3، مارس 1998م، ص89، 90.

(46) انظر: علم الدلالة الإدراكي المبادئ والتطبيقات، ص56، 57.

(47) انظر: استعارات بها نحيا، ص85، 86.

(48) انظر: الانزياح اللغوي بين التراث والمعاصرة، محسن طاهر إسكندر، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، ع2، مج 43، 2018، ص336.

(49) انظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، أحمد محمد ويس، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص165، والانزياح اللغوي بين التراث والمعاصرة، ص371، 372.

فالبنى اللفظيَّة التركيبيَّة للمنجز اللغويّ في عتبة العنوان تتمتَّع بحمولات دلاليَّة نصيَّة، منها ما هو أصليّ ومنها ما هو ذات انزياحات دلاليَّة؛ ولذلك عدَّ اللغويُّون، أمثال لو هيوك وجيرار جينيت، الوظيفة الدلاليَّة إحدى وظائف العتبات النصيَّة.

وتعتمد الوظيفة الدلاليَّة للعنوان على مدى قدرة المؤلّف على الإيحاء والتلميح من خلال التراكيب اللغويَّة.(50)

والاستعارة نوعان، **الأوَّل: الاستعارات البنائيَّة:** التي يتم فيها تشكيل مفهوم معين على أسس مجازيَّة من خلال النظر إلى مفهوم آخر، **والآخر: استعارة الاتّجاه والمكان:** التي تتعلَّق بالاتِّجاهات والمواقع المكانيَّة (أعلى - أسفل – داخل - خارج - أمام - خلف – موجود - غير موجود - عميق - ضحل - مركزيّ – طرفيّ ...)؛ فاستعارة الاتّجاه والمكان تصبغ على كلّ موضوع اتِّجاهًا وموقعًا معيَّنًا، فالسعادة مثلاً مرتبطة بمفهو العلوّ، والحزن مرتبط بمفهوم الانخفاض، يقال: (معنوياتي مرتفعة - معنوياتي منخفضة - في الحضيض - تحت ضغط نفسي - أمام اختبار صعب – صاحب مركز اجتماعي عالٍ - يرتقي السلم الوظيفي - تدنّي الأوضاع – أدنى معدلاتها - كفاءة عالية - أخلاقه عالية – فكره عالٍ - منحط ...).(51)

إنَّ المبدأ العام المسيّر للاستعارة لا يكمن في طبيعة النحو أو المعجم، وإنَّما مكمنه النظام المفهوميّ في أذهان المتكلّمين، وقوام هذا المبدأ أننا نتمثَّل مجالاً ما على أساس مجال آخر بتوسّط علاقات الإسقاط المفهوميّ، الذي هو جملة التناسبات التي تقوم بين المجالين، عنصرًا بعنصر أو مكوّنًا بمكوّن بما يسمّى إسقاط المعارف المتعلّقة **بالمجال المصدر** على المعارف المتعلّقة **بالمجال الهدف**، فتكون التناسبات إبستيميّة، ومكمن الاستعارة تلك

(50) انظر: سيميائية العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري، ماجستير، رحيم عبد القادر، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة بسكرة، 2004م، ص36.

(51) انظر: استعارات بها نحيا، ص102، 103 وما بعدهما.

التناسبات، كما في عبارة (الحياة رحلة)، حيث حدث إسقاط استعاريّ في **مجال المصدر** (رحلة) بإسقاط تناسباتها (التشابهات) على **مجال الهدف** (حياة).[52]

ومن ثمَّ تسهم عتبة العنوان النصيَّة في سبر أغوار النصّ الدلاليَّة؛ نتيجة مراعاة الاقتضاء النصِّيّ في التصوُّر الذهنيّ لمخرج عتبة العنوان.

رابعًا: التجسُّد أو الجسدنة: تمثيل المفاهيم المجرَّدة الغضب والفرح والحزن والخوف والقلق، على أساس الجسد، فالاستعارة الجسديّة تمثّل الأشياء على أساس أعضاء الجسد[53]، وللجسد دور في تشكيل الذهن والتجربة والعرفان عبر

دراسة الأبنية اللغويَّة ورصد أسسها التصوريَّة المجسدنة.[54]

فلا وجود للمعنى والخيال بمعزل عن العالم المتجسّد؛ لأنَّ الأشياء تدرك من خلال الحضور الجسديّ في الزمان والمكان؛ فمكان الإدراك ومسافته وطريقته وزاويته هي التي تحدَّد طبيعة فهم الشيء المدرك.[55]

يكشف البحث الحالي عن الدلالات العرفانيَّة في عتبة العنوان في السير الذاتيَّة في البلدان العربيَّة، فرغم وحدة الجنس الأدبي والمضمون المعبَّر عنه بالعنوان، تنوَّعت الألفاظ وتعدَّدت الأنماط التركيبيَّة؛ نتيجة التصورات الذهنيَّة؛ حيث تمخَّضت الدلالات العرفانيَّة المتنوِّعة عن كتلة لفظيَّة عنوانيَّة، تتعالق دلاليًّا مع النصّ نفسه، كما تتمتَّع بانزياحات دلاليَّة.

لقد تمخَّضت الدلالة العرفانيَّة أو التصورات الذهنيَّة عن نوعين من البنى التركيبيَّة في عتبة العنوان في (السيرة الذاتيَّة)؛ **الأوَّل:** البنى التركيبيَّة الإفراديَّة، **والآخر:** البنى التركيبيَّة غير الإفراديَّة؛ فجاءت بعض العنوانات في صورة بنية سطحيّة ظاهرة إفراديّة

(52) انظر: علم الدلالة الإدراكي المبادئ والتطبيقات، ص60، 61.
(53) انظر: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، ص67.
(54) انظر: دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، ص98.
(55) انظر: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص9.

في كلمة واحدة؛ إذ حذف صدر التركيب (المسند إليه) المقدَّر في البنية العميقة، وبرز عجزه (المسند).

وتتجلَّى التصوُّرات الذهنيّة أو الدلالة العرفانيَّة كمًّا وكيفًا في عتبة العنوان؛ لأنَّ العنوان المبنيّ من كلمة واحدة اختير إثر تصوُّر ذهنيّ، والعنوان المنبيّ من أكثر من كلمة اختير إثر تصوُّر ذهنيّ، كما أنَّ النوع (التذكير والتأنيث) في عتبة العنوان جاء إثر تصوُّر ذهنيّ، وجاء التعريف والتنكير إثر تصوُّر ذهنيّ، وجاء الإفراد والتثنية والجمع إثر تصوّر ذهنيّ، وكذلك الانزياحات الدلاليَّة الاستعاريَّة، وغيرها من صور التنوُّع الكمِّيّ والكيفيّ للعنوانات الرئيسة إنَّما هو نتاج التصورات الذهنيَّة، التي تمخَّضت عن ابتكار عنوانات ذات أُطُر تركيبيَّة مقصودة في مواضعها؛ تحقِّق قصديَّة التصوّرات الذهنيَّة وتبرزها.

فكلُّ مبنى لفظيّ في عتبة العنوان ناتج عن تصوّر ذهنيّ؛ أي كلّ زيادة أو حذف، أو تقديم أو تأخير، أو تعريف أو تنكير، أو تأنيث أو تذكير، أو إفراد أو تثنية أو جمع، في المخرج التركيبيّ هو نتاج التصوّرات الذهنيّة أو الدلالات العرفانيَّة، وكلَّ بنية سطحيَّة أو عميقة منشؤها تصوّر ذهنيّ؛ ومن ثمَّ فكلّ تحويل في البنية التركيبيَّة قوامه تصوّر ذهنيّ؛ فثمَّة لُحمة قويَّة بين الدلالة العرفانيَّة وبنية عتبة العنوان النصيَّة واللفظيَّة والتركيبيَّة والمعجميَّة...

لقد تمخَّضت الدلالة العرفانيَّة أو التصوُّرات الذهنيَّة لعتبة العنوان عن نوعين من البنى التركيبيَّة المحوَّلة، **الأوَّل:** البنية التركيبيَّة الإفراديَّة، **والآخر:** البنى التركيبيّة غير الإفراديَّة، التي جاء فيها المسند مضافًا فتلازم معه المضاف إليه، أو جاء موصوفًا فتلازمت معه الصفة.

فقد يُفصح عن الدلالات العرفانيَّة أو التصورات الذهنيَّة في منجز لغويّ في هيئة ركن واحد سطحيّ من ركني التركيب؛ إذ عنون بعض أصحاب السير الذاتيَّة سيرهم بلفظ واحد، في التركيب الإسناديّ المحوَّل بحذف صدره، وقد تنوَّع العجز المذكور بين التذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير، والإفراد والجمع، وفي كلِّ سمة من هذه السمات إرهاصات دلاليَّة عرفانيَّة مقصودة.

كلَّما جاءت اللفظة مختزلة زادت قدرتها الدلاليَّة في تكثيف المعنى(56)؛ وقد تحوَّلت عتبة العنوان، الناتجة عن الصوّرات الذهنيّة، من البنية الاسميَّة ذات الركنين إلى البنية الاسميَّة الإفراديَّة عن طريق التحويل بحذف صدر التركيب والاقتصار على عجزه.

لقد أفصحت التصوُّرات الذهنيَّة عن عتبات العنوان في هيئة بنية اسميَّة قصيرة في كلمة واحدة وقعت مسندًا، تنوَّعت في صورتين، الأولى: المفرد المذكَّر المعرَّف بالإضافة إلى ياء المتكلِّم، (طريقي) للمصريّ كمال الجنزوري، والأخيرة: جمع التكسير (أيامي) لكلٍّ من السعوديّ أحمد السباعي، والسوريّ نقولا زيادة، و(أمواج) للعراقيّ عبد الله إبراهيم.

أوَّلاً: المقولة: يمكن تحديد خصائص مقولة (عتبة العنوان في السيرة الذاتيَّة) فيما يلي: جنس أدبيّ نثريّ – سرد الأحداث الشخصيَّة - عتبة العنوان الرئيس - تركيب لغويّ - بُعد زمانيّ - بعد مكانيّ.

تعدَّدت ألفاظ عنوانات السير وفقًا للتصوّورات الذهنيَّة؛ رغم وحدة الجنس الأدبيّ / المقولة (السيرة الذاتيَّة) ووحدة المضمون؛ فجاءت العتبات: (طريقي - أيامي – أمواج) مقتصدة، تنتمي إلى المقولة وتمثِّلها بنسب متفاوتة؛ حيث يتوافر فيها الشروط الضروريَّة والكافية؛ فلم تكن درجة الانتماء واحدة؛ إنّما بدرجات نسبيَّة متفاوتة حسب نسبيَّة الإدراك والتصوّرات الذهنيَّة؛ ومن ثم يمكن الحكم على عنوان ما بأنَّه أكثر عرفانيَّة أو أقلّ عرفانيَّة من غيره.

ثانيًا: الفهم: جاءت هذه العنوانات نتاج تصوّرات ذهنيّة عمَّا تمثِّله السيرة الذاتيَّة لأصحابها؛ وفقًا للتجارب والخبرات والجوانب الاجتماعيَّة والثقافيَّة والنفسيَّة والتاريخيَّة ... ولذلك فهي تختلف من كاتب لآخر؛ تبعًا لاختلاف البصمة الذهنيَّة.

وثمَّة صلة بين عتبة العنوان والنصّ أحصاها خالد حسين العلاقة في ثلاث علاقات: الأولى: العلاقة الامتداديَّة من العنوان إلى النصّ: النصّ يتولّد من العنوان، والثانية: العلاقة الارتداديَّة من النصّ إلى العنوان: العنوان يتولّد من النصّ وذلك بانضغاط مادة النصّ

(56) انظر: العنوان ودلالاته في روايات الطاهر وطار، سمير خالدي، مجلة الفضاء المغاربي، مج3، ع1، فبراير 2019م، ص55.

وطاقته الدلاليّة في بنية تركيبيّة دلاليّة قصوى، والأخيرة: العلاقة التجاوريَّة (المجال الجذبويّ): فكّ الارتباط بين النصّين الصغير والكبير ليستقلّ كلّ منهما عن الآخر.(57)

وذكر فكري الجزَّار أنَّ ثمَّة علاقة جدليَّة بين العنوان والنصِّ، قد تكون إحاليَّة؛ إذ يحيل العنوان إلى النصّ والعكس، وقد تكون كليَّة جزئيَّة، وقد تكون انعكاسيَّة؛ فقد يبدأ الكاتب في صياغة عنوان نصّه قبل أن يبدع النصّ، أو العكس بعد اكتمال النصّ ونسجه يشرع في تكثيفه واختزاله في عنوان يسم (يصف) نصّه ويسمّيه ويرمز إليه ويشي بالكثير أو القليل عنه.(58)

فلم يكن العنوان بمعزل عن النصّ ولا العكس؛ بل شكَّل كلٌّ منهما علاقة الجزء بالكلّ وعلاقة الكلّ بالجزء في صورة تكامليَّة واضحة، وهذا ما يسمَّى العلاقة الحواريَّة بين العنوان والنصّ؛ فيفضي العنوان للنصّ ويفضي النصّ للعنوان، وكذلك هناك الحضور اللفظيّ للعنوان في النصّ؛ إذ يتكرَّر لفظ العنوان في النصّ للتأكيد على ما وراء العنوان من دلالات ومعانٍ، ربما تودّ من القارئ الوقوف عندها مرارًا وتكرارًا، وقد ينبثق العنوان من النصّ نفسه.(59)

وبحسب علاقة العنوان بالنصّ وارتباطهما ببعض، لا بدَّ من مسلكين، **الأوَّل: القمعدة:** البدء من القمة (العنوان) وينتهي عند القاعدة (النصّ)، **والمسلك الآخر: العكس (القاعمة):** البدء من القاعدة وينتهي عند القمَّة.(60)

في عتبة (طريقي) صوَّر الكاتب حياته ذهنيًّا طريقًا، له بداية ونهاية، ممهَّد أحيانًا، وبها عراقيل أحيانًا؛ فاختار لفظ (طريقي)، وارتبطت العناوين الفرعيَّة الداخليَّة بالتصورات الذهنيَّة التي نتج عنها العنوان الرئيس؛ إذ يتجلَّى في ألفاظ العناوين الفرعيَّة الداخليَّة: (سنوات الحلم والصدام والعزلة - أوَّل المشوار – أمريكا والدكتوراه – العودة إلى الوطن

(57) انظر: في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، خالد حسين حسين، دار التكوين، د.ت، ص45، 49، 53.
(58) انظر: العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص101.
(59) انظر: مقاربة العنوان: البنية والدلالة – رواية (النص الناقص)، ص105، 113.
(60) انظر: دينامية النص تنظير وإنجاز، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 1990م، ص72.

– بداية السلم الوظيفيّ – بداية المناصب السياسيَّة – انطلاق إلى عمران مصر – العام قبل الأخير – الوداع للمسؤوليَّة العامة – ما بعد انتهاء العمل العام ...)؛ فهذه الألفاظ نتاج التصوّرات الذهنيَّة لعتبة العنوان الرئيس؛ لأنَّها تتضمَّن أبعادًا زمانية، نحو: (سنوات - العام قبل الأخير – الوداع – ما بعد انتهاء)، وأبعادًا مكانية عبر ما له ابتداء وانتهاء، وباستخدام حرف الجر (من) الذي يفيد ابتداء الغاية المكانيَّة، وحرف الجر (إلى) الذي يفيد انتهاء الغاية المكانيَّة، نحو: (من القرية إلى رئاسة الوزراء - أوَّل – بداية – انطلاق - أمريكا – الوطن).

وأمَّا في عتبة (أيامي) فإنَّ الكاتب صوَّر حياته ذهنيًّا تصويرًا زمنيًّا فاختار لفظ (أيامي) ذا البعد الزمنيّ؛ ليدلّ عرفانيًّا على دقَّة الكاتب ووضعه الزمان في الحسبان، وسرد ما حدث في حياته يوميًّا من نعم ونقم، وخير وشر، وحزن وسرور، وسعة وضيق ... حسبما جاء في الدلالات المعجميَّة للفظ (أيام).

لقد اختير العنوان (أيامي) –إثر التصور الذهنيّ- من لفظ واحد، جمع تكسير، معرَّف بالإضافة إلى ياء المتكلِّم، وقد تجلَّى هذا التصوّر الذهني اللفظيّ التركيبيّ في تقسيم أحمد السباعي حياته إلى مراحل، تمثِّل كلّ مرحلة مجموعة أيام (إنَّها أيامي – في الكتَّاب – كتاتيب ومعلّمون – مع حفَّاظ القرآن – في المدرسة – بين الصحافة والأدب – في صحيفة صوت الحجاز).

ومن خلال قراءة أحداث (السيرة الذاتيَّة) لنقولا زيادة تبيَّن أنَّ التصورات الذهنيَّة العرفانيَّة الزمانيَّة التي كانت تدور في خلده في التعبير عن العنوان، تجلَّت في متن السيرة؛ حيث جاءت الأحداث متسلسلة زمانيًّا تبدأ بـ(جزء من اليوم، ثم اليوم، ثم الأيام، ثم الأسابيع، ثم الشهور، ثم فصول السنة، ثم السنوات)، من خلال الألفاظ الآتية: (بعد صلاة العصر – في يوم – أيام الجمع والآحاد - تلك الأيام – أيام طفولتي الأولى – أيام دمشق الأولى - تلك الأيام - ثلاثة أسابيع في تلك الصيفية – في صيف 1912 – أواخر ربيع 1911 – صيف 1927 - مطلع 1913 ...)؛ ممَّا يوحي بقيمة عنصر الزمن وحضوره في التصوّرات الذهنيَّة، التي تمحورت في عتبة العنوان؛ فجاء لفظًا من ألفاظ الزمان في بنية جمع تكسير،

ومعرَّفًا بالإضافة إلى ياء المتكلّم (أيامي)؛ وهذه الدلالة العرفانيَّة الزمانية تبرز علاقة عتبة العنوان بمتن النصّ.

ومن حيث البروز، رغم الإسناديَّة الاسميَّة في عتبة العنوان النصيَّة، حذف صدر الإسناد (المسند إليه)، والتقدير: (هذه أيامي/ هي / إنَّها أيامي)؛ فيتبيَّن البروز في أمرين، **الأوَّل:** البروز التركيبيّ في المضاف إليه (ياء المتكلم)؛ فهو الوحدة الأكثر بروزًا في التعبير التركيبيّ، وبهذا البروز تمايز التعبير التركيبيّ رغم حذف صدره؛ ممَّا يؤكِّد أن التركيب جاء إثر الدلالة العرفانيّة. **والآخر:** البنية الدلاليَّة المستخدمة للتعبير عمَّا يقصده المتكلِّم؛ فالدلالة العرفانيَّة المتمركزة في ياء المتكلِّم تعبِّر عن مقصده؛ إذ يكشف التعبير بياء المتكلِّم عن دقَّة التصوّرات الذهنيَّة في استخدام هذا التعبير، ودقَّة الأرقام الحسابيَّة في حياة الكاتب، وأهمية الزمن عند كاتب السيرة، فكلّ يوم تتجدَّد فيه الأحداث المهمَّة، هذه الأحداث التي دارت في ذهن الكاتب تحقَّقت في استخدام التركيب الإضافيّ (أيامي)؛ ولذلك أنتجت التصوُّرات الذهنيَّة العتبة بنية جمع تكسير متّصلة بها ياء المتكلّم.

وأمَّا في العتبة الأخيرة (أمواج) فإنَّ الكاتب اختار لفظًا جاء في صيغة جمع تكسير، ولهذه اللفظة دلالات عرفانيَّة متصوَّرة ذهنيًّا، فقد تصوَّر دروب حياته بأنَّها أمواج عاتية، شديدة الاندفاع لا تهدأ، كلّها تيه واضطراب واغتراب وتخيّل وأمور مجهولة غير مدركة.

لقد أفصح الكاتب عمَّا جال في خاطره من تصوّرات ذهنيَّة عند صياغة العنوان في قوله: "كانت حياتي منذ الطفولة مزيجًا من أحداث وأفكار وأهواء لم يجهز لي أحد مسارها: لا أسرة ولا مدرسة ولا قبيلة، ولا مجتمع ولا دولة، فوجدتني أصنع مسارًا لها يقوم على التواطؤ بين رغباتي الشخصيَّة وتطلّعاتي الثقافيّة وأنماط الحياة العامَّة".(61)

كما يسهم في هذه التصوُّرات الذهنيَّة الكامنة في عتبة العنوان، ألفاظ العناوين الداخليَّة، نحو: (مات ولم يقبلني – أن تعيش لتتخيّل – متسكّع في القاهرة – غريب على الخليج – مئة عام من العزلة – رصيد متعفّن - قعر الحزن – اللغز الغامض – مفاجآت – لذّة الاكتشاف – خوف – غازات قاتلة – يأس – عواصف – زوابع – قلق – ضوء باهر

(61) انظر: أمواج (سيرة عراقية)، عبد الله إبراهيم، دار جامعة حمد بن خليفة، الدوحة، قطر، ط1، 2017م، ص12.

– تأرجح على حافة الهاوية – مخاوف وحيرة – بيوت من زجاج – كراهيّات وتحيّزات وأوهام – بروق الرمال).

وقد أفرزت التصوّرات الذهنيَّة هذه العتبات في صورة بنية اسميَّة سطحيَّة منبثقة عن بنية عميقة مركَّبة أصابها تحويل بحذف المسند إليه؛ من أجل الاقتصاد العنوانيّ ولبروز المسند ودلالته عليه؛ فيكون في العنوان بنية سطحيَّة (إفراديَّة)، وبنية عميقة (مركَّب إسناديّ اسميّ).

- **البنية السطحيَّة:** (طريقي - أيامي – أمواج)= بنية إفراديَّة.
- **البنية العميقة:** هذا طريقي - هذه أيامي - هذه أمواج= مركَّب اسميّ.

أنتجت التصورات الذهنيَّة عتبة العنوان في هذا النمط تركيبًا إسناديًّا اسميًّا (بنية اسميَّة)، حُذف ركنه الأوّل المسند إليه، تقديره في البنية العميقة (هذا – هذه، أو هو / هي، أو إنَّه / إنَّها)؛ اتِّفاقًا مع المسند مذكَّرًا كان أو مؤنَّثًا، مع ورود المسند (البارز في التصوّر الذهنيّ) مفردًا، معرَّفًا بالإضافة إلى ياء المتكلِّم في العتبتين (طريقي – أيامي)، ومفرد نكرة في عتبة (أمواج)؛ لا جملة ولا شبه جملة.

ويعدُّ الاختصار والاختزال والاقتصاد الذهنيّ المقصود سمة هذا النمط العنوانيّ؛ حيث حذف المسند إليه واقتصر على ذكر المسند من ناحية، مع اختياره مفردًا غير مركب؛ لا جملة ولا شبه جملة من ناحية أخرى؛ فالعنوان يُلمح فيه الاختصار من ناحيتين، **الأولى:** حذف المسند إليه، **والأخيرة:** إفراد المسند دون تركيبه.

ولعلَّ حذف المسند إليه في العنوان مقصده –بجانب الاقتصاد اللفظيّ- العناية والاهتمام بالركن المذكور وإبرازه وفق التصوّرات الذهنيَّة؛ إذ يجنح الذهن إلى الإيجاز في التركيب بحذف صدره ممَّا يبدع دلالات جديدة مقصودة، وهذا الإصدار الذهنيّ الاقتصاديّ الانزياحيّ يبرز العنصر المذكور.

ثالثًا: الخيال: يتبيَّن الأسلوب الاستعاريّ والبنية الاستعاريَّة المتصوَّرة ذهنيًّا، المنجزة لفظيًّا تركيبيًّا في عنوانات السير الثلاثة (طريقي – أيَّامي - أمواج).

الطريق في المعجم يعني: السبيل، وهو ما بين السكَّتين من النخل[62]، وقد جالت في ذهن الكاتب الأحداث السياسيَّة والاقتصاديَّة والإعلاميَّة؛ إذ تحمل مسؤوليَّة وطنيَّة كبيرة؛ فاختار التركيب الاستعاريّ المتجسِّد في عتبة (الطريق) ترجمة لتصوراته الذهنيَّة، والتعبير يفصح عن استقامته في طريق الحياة (الطريق المستقيم)، رغم تعدّد الأحداث وتنوّعها.

ويتجلَّى في العتبات الإفراديَّة ذات البنيات الاستعاريَّة أنَّ **السيرة الذاتيَّة (الحياة)** هي **مجال الهدف** بينما تنوَّع **مجال المصدر** بين **(الطريق)** في العتبة الأولى، **و(الأيام)** في العتبة الثانية، **و(الأمواج)** في العتبة الأخيرة.

ويتجلَّى الانزياح الدلاليّ المتمثِّل في التخييل الاستعاريّ في العتبات (طريقي – أيامي – أمواج)؛ فالطريق ليس الطريق المعهود بين مكانين، والأيام ليست الأيام المعهودة؛ إنما أطلق الأيام وأراد ما بها من أحداث، والأمواج ليست أمواج البحر المعروفة؛ إنَّما قصد بها ما مرّ به من أحداث تشبه الأمواج العاتية في عنفوانها ومدّها وجزرها.

بدت الانزياحات الدلاليَّة الاستعاريَّة في عتبة العنوان (أمواج)؛ إذ تخيَّل الكاتب أنَّ حياته أمواج متلاطمة مضطربة تثور أحيانًا وتهدأ أحيانًا، وهذا نوع من الاستعارات التي بها نحيا كما ذكر لايكوف وجونسون.

ويقتضي هذا التصوّر الذهنيّ للعنوان دلالة عرفانيَّة أخرى قوامها أنَّ الكاتب تخيَّل نفسه سفينة وسط هذه الامواج والاضطرابات التي عدَّها إحدى عشرة موجة؛ إذ صاغ عنوانه وفق تصوّراته، في لفظة واحدة، نكرة، جمع تكسير؛ مقسمًا سيرته داخليًّا إلى إحدى عشرة موجة: الموجة الأولى – الموجة الثانية – الموجة الثالث ... الموجة الحادية عشرة.

(62) انظر: لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، د.ت، (طرق).

الموج في المعجم هو ما ارتفع من الماء فوق الماء وفعله ماج، والجمع أمواج، ماج البحر يموج موجًا وموجانًا، وتموَّج اضطربت أمواجه، وموج كلّ شيء وموجانه اضطرابه.(63)

رابعًا: التجسُّد: إنَّ الخيالات البادية في عتبة العنوانات مستوحاة من العالم المتجسِّد، فالعنوان نتاج تصوّر ذهنيّ عمَّا تمثله السيرة الذاتيَّة لصاحبها؛ إذ جسَّد الحياة في عتبة (طريقي) في طريق يسلكه الكاتب، له بداية ونهاية، وبه منعرجات ومصاعب.

وتتجسَّد الحياة، وفق التصورات الذهنيَّة، في صورة لها بعد زمنيّ (أيام) فيها النعم والنقم وفيها الخير والشر؛ فاليوم في المعجم معروف مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها والجمع أيام، ويأتي بمعنى ما حلَّ فيه من النعم والنقم.(64)

وتتجسَّد الحياة في صورة (أمواج تتلاطم) عند مؤلِّف آخر، وهذه كلّها توجد في عالم كاتب السيرة الذاتيَّة، وتوحي بجزء من ثقافته وتجاربه الكامنة في تصوُّراته الذهنيَّة.

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ المقولة واحدة والجنس الأدبيّ واحد؛ بينما التعبيرات مختلفة والتراكيب متنوِّعة؛ لاختلاف الفهم والخيال والتجسُّد (الدلالات العرفانيَّة)؛ فجاءت عتبة العنوان مقتصدة لفظيًّا في العنوانات الإفراديَّة (كلمة واحدة) **(المسند إليه المحذوف + المسند)**: (طريقي – أيامي – أمواج)، وكلّ عتبة مختارة تركيبيًّا هي نتاج تصوّرات ذهنيَّة واعية؛ فتحمَّلت انزياحات دلاليَّة، **وهو ما يمكن تسميته عرفانيًّا:** الإصدارات الذهنيَّة الانزياحيَّة.

(63) انظر: لسان العرب، (موج).

(64) انظر: لسان العرب، (يوم).

المبحث الثالث

الدلالة العرفانيَّة والبنية التركيبيَّة غير الإفرادية

أوَّلاً: الدلالة العرفانيَّة والبنية التركيبيَّة الإضافيَّة:

أدَّت التصوّرات الذهنيَّة دورها في تنوّع البنى التركيبيَّة اللفظيَّة كمًّا وكيفًا في عتبة العنوان في مقولة (السيرة الذاتيَّة)؛ فجاءت العنوانات في صورة بنية تركيبيَّة سطحيّة ظاهرة في وحدتين أو أكثر؛ إذ حذف صدر التركيب (المسند إليه) المقدَّر في البنية العميقة.

لقد أنتجت التصوّرات الذهنيَّة لمؤلفي السير الذاتيَّة بنى إسناديَّة اسميَّة ثنائيَّة في عتبة العنوان الرئيس، محذوفة الصدر (المسند إليه) بارزة العجز (المسند)، الذي جاء مركَّبًا تركيبًا إضافيًّا، منبته في الأصل التصوُّرات الذهنيَّة.

فالإسناد الاسميّ علاقة ذهنيَّة معنويَّة بنائيَّة بين المسند إليه والمسند، تحكمهما قرائن لفظيَّة ومعنويَّة، وبينهما وحدة إعرابيَّة، وهما معًا يمثِّلان وحدة لغويَّة جمليَّة متماسكة.

لقد انبنى علم الدلالة الإدراكيّ على التحليل المفهوميّ والتصوريّ للأنظمة اللغويَّة المستعملة استنادًا إلى التجارب البشريَّة في العالم؛ فلا يقتصر إنتاج المعنى على البنى اللغويَّة، إنَّما يتعدَّاها إلى شتَّى جوانب العقل الإنساني؛ ومن ثم يمكن معالجة الظواهر اللغويَّة معالجة ذهنيَّة إدراكيَّة، بمعزل عن التحليلات والمقولات التي تحصرها في آليَّات الصناعة اللغويَّة، بالبحث في الاستراتيجيَّات الذهنيَّة والتصوّر المعرفيّ.(65)

وقد تخصَّصت بنية العنوان بالاسميَّة؛ حتى بدت خاصيَّة مميّزة فيها، بل تكاد تكون الخاصية الأساس في العنونة؛ وهي الغالبة على العنوانات البسيطة والمركَّبة(66)؛ أي للاسميَّة

(65) انظر: علم الدلالة الإدراكي المبادئ والتطبيقات، ص51، 52، 54.

(66) انظر: العنوان في الأدب العربي النشاة والتطور، محمد عويس، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1988م، ص35، 42.

القدح المعلي في بنية العنوان؛ لكونها تفيد التقرير والثبات؛ بقصد تحقيق مضمون النصّ وتأكيده.(67)

وقد أنتجت التصوُّرات الذهنيَّة هذه البنية التركيبيَّة الإضافيَّة لعتبة العنوان في السيرة الذاتيَّة: **(المسند إليه المحذوف + المسند المضاف + المضاف إليه)**؛ حيث أفصحت التصوّرات الذهنيَّة عن عتبات عنوانيَّة قوامها ركن سطحيّ واحد جاء في بنية ثنائيَّة إضافيَّة؛ إذ صاغ بعض أصحاب السير الذاتيَّة عتبة العنوان في هيئة تركيب إسناديّ مقتصد ذهنيًّا بحذف صدره (المسند إليه)، وجاء المسند في هيئة التركيب الإضافيّ؛ ليبرز فيه العجز المضاف أو يبرز ركنا الإضافة معًا.

فإذا كان المنجز اللغويّ تعبير (ضحيَّةُ العام)؛ فقد يكون إثر تصوّر ذهنيّ (هذا / هو / إنَّه ضحيَّة العام) عن الوضع الاقتصاديّ، أو الوضع الصحيّ، أو الواقع السياسيّ ... مع الاكتفاء بعجز التركيب المسند دون صدره المسند إليه المحذوف؛ لبروز المسند حين التصوُّر الذهنيّ، وهذا ما يمكن تسميته (السيطرة الذهنيَّة).

جاء العنوان ركنًا واحدًا مركَّبًا تركيبًا إضافيًّا؛ إذ وقع المسند مضافًا، وجاء مفردًا مذكرًا مضافًا إلى المعرَّف بـ(أل) ليكتسب منه التعريف، وليبرز المسند (الخبر) الذي يتركَّب من ركني الإضافة، في العنوانات المبيَّنة في الجدول التالي:

المسند إليه	المسند		المسند إليه	المسند	
	المضاف	المضاف إليه		المضاف	المضاف إليه
محذوف	رحلةُ	العمرِ	محذوف	سبيلُ	الحياةِ
	سجنُ	العمرِ		قافلةُ	الحياةِ
	رحيقُ	العمرِ		قصَّةُ	حياتي
	أوراق	العمر		طريقُ	النحلِ
	غربةُ	الراعي		حصادُ	الثمانين

(67) انظر: سيموطيقا العنوان، جميل حمداوي، دار الريف، المملكة المغربية، ط2، 2020م، ص103، 660.

				لهو	الأيامِ

أوَّلاً: المقولة: العتبات المدرجة في الجدول السابق وليدة التصوّرات الذهنيَّة، وهي تنتمي إلى مقولة (السيرة الذاتيَّة)، بنسب متفاوتة؛ إذ يتوافر فيها الشروط الضروريَّة والكافية للانتماء لهذه المقولة.

ثانيًا: الفَهم: صوَّر صاحب كل سيرة حياته ذهنيًّا في عنوان محدَّد، ثم صاغ ألفاظ هذا العنوان في بنية إضافيَّة قوامها المضاف والمضاف إليه؛ ولمَّا كان المعنى مختزنًا ومتصوَّرًا ذهنيًّا قبل إنتاج الألفاظ؛ تعدَّدت الألفاظ والتعبيرات المبيِّنة لهذه التصوُّرات الذهنيَّة؛ فهي (رحلةُ العمرِ) عند الدمشقيّ أحمد راتب عرموش، و(أوراقُ العمرِ) عند المصريّ لويس عوض، و(سجنُ العمرِ) عند المصريّ توفيق الحكيم، و(رحيقُ العمرِ) عند المصريّ جلال أمين.

وهنا يبرز المسند المضاف ويتنوَّع عند الكتَّاب؛ لاختلاف التصوّرات الذهنيَّة الإدراكيَّة لمقولة السيرة الذاتيَّة، فقد تنوَّع بين (رحلة – أوراق – سجن – رحيق) + المضاف إليه (العمر).

فرغم وحدة المقولة تنوَّعت ألفاظ عتبة العنوان؛ فكلّ مضاف ممَّا سبق له دلالة ذهنيَّة وفقًا لتجارب الكاتب وما يعتريها من جوانب نفسيَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة وتاريخيَّة؛ فاختيار ألفاظ متعدِّدة مثل: الرحلة والأوراق والسجن والرحيق ... يؤكِّد أسبقيَّة الإدراك الذهنيّ للبنية التركيبيَّة، وتمخضه عنها.

فالسيرة الذاتيَّة هي (قافلةُ الحياةِ) عند السعوديّ عبد الله بن إدريس، و(سبيلُ الحياةِ) عند المصريّ إبراهيم عبد القادر المازني، و(قصَّة حياة) عند كلٍّ من المصريّ أحمد لطفي السيد والعراقيّ مهدي مكية.

وهنا يبرز المسند المضاف ويختلف من كاتب لآخر نتيجة اختلاف التصورات الذهنية الإدراكيَّة لمقولة السيرة الذاتيَّة، فقد تنوَّع بين: (قافلة – سبيل - قصَّة) + المضاف إليه (حياة).

ورغم وحدة المقولة تنوَّعت ألفاظ عتبة العنوان؛ فكلّ مضاف ممَّا سبق له دلالة ذهنيَّة وفقًا لتجارب الكاتب وما يسهم في ذلك من جوانب نفسيَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة؛ فللقافلة دلالة، وللسبيل دلالة ثانية، وللقصَّة دلالة أخرى؛ ممَّا يؤكِّد أسبقيَّة الإدراك الذهنيّ للبنية التركيبيَّة، ودوره في إنتاج التراكيب.

والسيرة الذاتيَّة هي (طريقُ النحلِ) عند اللبنانيّ جمهوريَّة رامي علّيق، و(غربةُ الراعي) عند إحسان عباس (الكرمل إلى الجنوب من حيفا)، و(لهو الأيامِ) عند السوريّ أحمد الجندي (مذكرات سنوات المتعة والطرب والثقافة)، و(حصادُ الثمانين) عند اللبنانيّ حبيب جابر.

يتبيَّن في التعبيرات المختارة أثر البيئة والثقافة في التصوّرات الذهنيَّة في عتبة العنوان النصيَّة؛ فيظهر في عتبة (قافلةُ الحياةِ) للكاتب السعوديّ أثر البيئة والقوافل التي تغدو وتروح قاصدة الجزيرة العربيَّة والمملكة العربيَّة السعوديَّة للحج والعمرة، كذلك يلمح في عتبة الأديب أحمد لطفي السيد (قصة حياتي) تأثره ذهنيًّا بكتابة القصص عند صياغة العنوان، والأمر نفسه في عتبة (لهو الأيام)؛ إذ ألحق الكاتب بالعنوان الرئيس عنوانا فرعيًّا هو (مذكرات سنوات المتعة والطرب والثقافة)؛ فتأثر بهذه الثقافة ذهنيًّا في صياغة عتبة العنوان الرئيس.

ومن ثم فإنَّ العتبات (الرحلة والأوراق والسجن) منبتها تصورات ذهنيَّة كامنة في عقول أصحابها قبل اختيار هذه الألفاظ في عتبات السير الذاتيَّة العربيَّة.

جاءت عتبة العنوان –نتيجة التصورات الذهنيَّة- بنية تركيبيَّة اسميّة إسناديّة، حُذِف صدرها (المسند إليه)، تقديره (هذا / هذه)، أو (هو / هي)، أو (إنَّ واسمها)، أمَّا العجز (المسند) فقد جاء بنية إضافيَّة تتركَّب من المسند المضاف الذي تنوَّع بين المفرد المذكَّر (سجن - رحيق - آخر - حصاد - لهو)، والمفرد المؤنَّث (رحلة – غربة – قافلة – أوراق – قصة)، وما يذكَّر ويؤنَّث (طريق – سبيل).

وأمَّا المضاف إليه فقد تنوَّع بين المفرد المذكَّر (العمر – الراعي - العمر)، والمفرد المؤنَّث (الحياة – حياتي)، كما تنوَّع بين المعرَّف بـ(أل) (العمر – الراعي – الحياة)، والمعرَّف بالإضافة إلى ياء المتكلِّم (حياتي – أيامي).

واقتصرت عتبة العنوان على التركيب الإضافي (المضاف + المضاف إليه)؛ من أجل الاختصار والاقتصاد اللغويّ في عتبة العنوان بعد حذف المسند إليه المفهوم من السياق، ومن أجل بروز الخبر المتجسِّد في المضاف في التركيب الإضافيّ، أو في معنى المضاف والمضاف إليه معًا.

لقد اختزلت عتبة العنوان في كلمتين مضافتين لبعضهما في البنية السطحيَّة، وهي منبثقة عن تركيب إسناديّ في البنية العميقة؛ فيكون في العنوان بنية سطحيَّة (تركيب إضافيّ)، وبنية عميقة (تركيب إسناديّ).

البنية السطحيَّة: المسند (المضاف) + المضاف إليه= **البنية الإضافيَّة.**

البنية العميقة: المسند إليه المحذوف + المسند (المضاف) + المضاف إليه= **البنية الإسناديَّة.**

كمنت الدلالات العرفانيَّة في هذا المُخرَج المتصوَّر في المركّب الإضافيّ السطحيّ الذي اكتسب فيه المضاف التعريف من المضاف إليه المعرفة، ولهذا الاكتساب التعريفيّ المعلَن دلالات عرفانيَّة؛ ومن ثم اختير هذا المركِّب ليكون شطر المركَّب الإسناديّ العميق.

ثالثًا: الخيال: يتبدَّى الخيال في هذه العتبات في الانزياحات الدلاليَّة التي تجلَّت في الاستعارات المتخيّلة في العتبات المفردة المؤنَّثة (رحلة – غربة – قافلة - قصة)، وجمع التكسير (أوراق)، والعتبات المفردة المذكَّرة (سبيل – طريق – سجن – رحيق – حصاد – لهو).

يتجلَّى في هذه العتبات ذات البنى الاستعاريَّة أنَّ السيرة الذاتيَّة هي **مجال الهدف** بينما **مجال المصدر** هو (رحلة وسجن ورحيق وأوراق وقافلة وسبيل وقصَّة وغربة وطريق ولهو وحصاد).

ويتجلَّى التصوُّر الذهنيّ في اختلاف المعني المعجميّ من لفظ لآخر؛ فـ(الرحلة) تعني الارتحال[68]، فلمَّا كانت حياة الكافة حافلة بالترحال استخدم لفظ

(68) انظر: لسان العرب، (رحل).

(الرحلة) في التركيب الاستعاريّ لعنوان السيرة الذاتيَّة.

والأوراق تعني أوراق الشجر والكتاب، قال أبو حنيفة: الورق كل ما تَبسَّط تبسطًا وكان له غير في وسطه تنتشر عنه حاشيتاه. وأورق الشجر خرج ورقه وشجرة وارقة خضراء، وفي الحديث أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلَّم- قال لعمار: أنت طيّب الورق؛ أراد بالورق نسله تشبيهًا بورق الشجرة لخروجها منها، وورق القوم أحداثهم.(69)

والرحيق من أسماء الخمر، قال ابن سيده هو من أعتقها وأفضلها، وقيل: الرحيق صفوة الخمر، قال الزجَّاج: الرحيق الشراب الذي لا غشَّ فيه، وقيل: الرحيق السهل من الخمر، والرحيق والرحاق الصافي ولا فعل له، والرحيق المختوم خمر الجنَّة المصون الذي لم يبتذل لأجل ختامه.(70) وقد اختار الكاتب لفظ (رحيق) في عتبة العنوان في سيرته الذاتيَّة، نتيجة التصورت الذهنية المختزنة عن حياته التي لا كذب فيها ولا غش ولا خداع.

والسِّجن يعني: الحبس، والسَّجن بالفتح المصدر، والسِّجن المحبِس(71)؛ وقد اختار الكاتب هذا اللفظ في عتبة العنوان في سيرته الذاتيَّة، نتيجة التصوُّرات الذهنيَّة؛ ممَّا يوحي بافتقاره إلى الحرية في كثير من حياته التي شبهها بالسجن.

وروي عن أبي منصور أنَّ القافلة سمّيت قافلة تفاؤلاً بقفولها أي رجوعها، والعرب تسمّي الناهضين في ابتداء السفر قافلة تفاؤلاً بأن ييسّر الله لها القفول، والقافلة الرفقة الراجعة من السفر.(72)

وتعني القصَّة: الجملة من الكلام، والقصّة الخبر والجمع القصص بكسر القاف وهي التي تكتب، والقِصة الأمر والحديث(73)؛ ومن ثم جاء العنوان –إثر التصورات الذهنيَّة- (قصَّة حياتي)؛ ممَّا يوحي بأن كلَّ كاتب صوَّر حياته بالقصَّة أو الحكاية.

(69) انظر: لسان العرب، (ورق).
(70) انظر: لسان العرب، (رحق).
(71) انظر: لسان العرب، (سجن).
(72) انظر: لسان العرب، (قفل).
(73) انظر: لسان العرب، (قصص).

والطريق في المعجم: يقال: الطريق / السبيل الأعظم والطريق العظمى، وبنات الطريق التي تفترق وتختلف فتأخذ في كلّ ناحية(74)، وقد اختير هذا اللفظ في عتبة عنوان السيرة الذاتيَّة؛ حيث صوّر الكاتب حياته بطريق سار فيه من بدايته إلى أن شارف على نهايته معرجًا فيه على ما واجهه في الطريق من عقبات.

وتعني الغربة: الذهاب والتنحِّي عن الناس، والنوى والبعد، وغرُب أي بعُد والغُربة والغُرب النزوح عن الوطن والاغتراب(75)؛ ومن ثمَّ اختير هذا اللفظ في عتبة العنوان ممَّا يوحي بأنَّ الكاتب عاش حياته مغتربًا كالراعي الذي تقتصر حياته على الرعي وحيدًا في ربوع الصحاري.

كما تتجلَّى الاستعارة الزمانيَّة من خلال ألفاظ العتبتين ذات البعد الزمنيّ: (حصاد الثمانين – لهو الأيام).

فالحصد: جزك البُرّ ونحوه من النبات، حصد الزرع قطعه بالمنجل، والزرع محصود وحصيد، ورجل حاصد من قوم حصدة وحصاد، والحَصاد والحِصاد أوان الحصد، والحِصاد والحصيد والحصد الزرع والبُرّ المحصود بعد حصاده، وحصاد كلّ شجرة ثمرتها، والحصاد بالفتح والكسر قطع الزرع(76)؛ فاختير هذا اللفظ الاستعاريّ ليوحي بأنَّ الكاتب يحصد ما زرعه في هذه السنوات الثمانين.

رابعًا: التجسُّد: يتبدَّى من العنوانات التي أنتجتها التصورات الذهنيَّة أنَّ مقولة السيرة الذاتيَّة جُسِّدت في رحلة لها بداية ونهاية وبها زاد وعتاد، وجُسِّدت في قافلة تذهب وتعود، وجُسِّدت في راعٍ تغرَّب عن الناس والحياة، وجُسِّدت في أوراق، وجسِّدت في سبيل أو طريق وفي سجن ورحيق وحصاد ولهو ... وهذا التجسُّد نابع عن التصوّورات الذهنيَّة العرفانيَّة الإدراكيَّة.

لقد اكتسبت هذه العتبات العنوانيَّة **التعريف** من المضاف إليه المعرفة في عتبات (قصة حياتي – قافلة الحياة – أوراق العمر – سبيل الحياة – طريق الحياة – طريق النحل) والتعريف

(74) انظر: لسان العرب، (طرق).
(75) انظر: لسان العرب، (غرب).
(76) انظر: لسان العرب، (حصد).

مع التخصيص في (غربة الراعي)، **والتعريف مع البعد الزمنيّ** في (قصة أيامي – زمن الأسئلة – حصاد الثمانين – لهو الأيام)، **والتعريف مع البعد الزمكانيّ** في (رحلة العمر – سجن العمر – رحيق العمر – آخر المطاف).

جاءت العتبات تراكيب إضافية، برز فيها المسند المضاف في العتبات (رحلة العمر – أوراق العمر – سجن العمر – رحيق العمر – قافلة الحياة – سبيل الحياة – قصَّة حياتي – لهو الأيام)، وبرز ركنا التركيب معًا في العتبات (غربةُ الراعي – حصادُ الثمانين – طريقُ النحلِ).

ثانيًا: الدلالة العرفانيَّة والبنية التركيبيَّة الوصفيَّة:

أفصحت التصوّرات الذهنيَّة لمؤلفي السير الذاتيَّة العربيَّة عن عتبات عنوانيَّة في هيئة بنى إسناديَّة اسميَّة قوامها ركن واحد سطحيّ ظاهر من ركني التركيب، جاء في بنية ثنائيَّة وصفيَّة لعتبة العنوان الرئيس، محذوفة الصدر (المسند إليه) بارزة العجز (المسند)، الذي جاء مركَّبًا تركيبًا وصفيًّا، منبته في الأصل التصوُّرات الذهنيَّة.

اختار بعض أصحاب السير الذاتيَّة عتبة العنوان في هيئة تركيب إسناديّ مقتصد ذهنيًّا، محوَّل بحذف صدره (المسند إليه)، مع صياغة عجزه (المسند) في هيئة التركيب الوصفيّ؛ ليبرز المسند الموصوف أو يبرز ركنا الوصف معًا.

فإذا كان المنجز اللغويّ تعبير (صبرٌ جميلٌ)؛ فقد يكون إثر تصور ذهنيّ (هذا / هو / إنَّه / فصبري صبرٌ جميلٌ) على الظروف الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة، أو الصحيّة، أو العلميّة، أو السياسيّة ... مع الاكتفاء بعجز التركيب (المسند) دون صدره (المسند إليه المحذوف)؛ لبروز المسند حين التصوُّر الذهنيّ، وهذا ما يمكن تسميته (السيطرة الذهنيَّة).

وإذا كان المنجز اللغويّ تعبير (واقعٌ أليمٌ)؛ فقد يكون إثر تصور ذهنيّ (هذا / هو / إنَّه / واقعنا واقعٌ أليمٌ) عن الواقع الاجتماعي، أو الاقتصاديّ، أو الصحيّ، أو العلميّ، أو السياسيّ ... مع الاكتفاء بعجز التركيب (المسند) دون صدره المسند إليه المحذوف؛ لبروز المسند حين التصوُّر الذهنيّ، وهذه هي (السيطرة الذهنيَّة).

جاء العنوان في عنوانات السير الذاتيَّة العربيَّة ركنًا واحدًا مركَّبًا وصفيًّا؛ إذ وقع المسند موصوفًا، ثم تبعته الصفة **(المسند إليه المحذوف + المسند + الصفة)**، كما في الجدول التالي:

المسند إليه	المسند		المسند إليه	المسند	
	الموصوف	الصفة		الموصوف	الصفة
محذوف	البئرُ	الأولى	محذوف	صفحاتٌ	من تجربتي
	رحلةٌ	جبليَّةٌ		حياتي	في حكاياتي
	أشياءُ	شخصيَّةٌ		رحلتي	مع رسائل النور
	شظايا	من عمري		حياةٌ	غيرُ آمنة
	سنواتٌ	من عمري		أيامٌ	من حياتي
	إبحارٌ	بلا شطآن			

أوَّلاً: المقولة: أفصحت التصوّرات الذهنيَّة عن العتبات التي في الجدول السابق، التي تنتمي لمقولة السيرة الذاتيَّة بنسب متفاوتة؛ إذ يتوافر فيها الشروط الضروريَّة والكافية للانتماء لهذه المقولة.

ثانيًا: الفَهم: صوَّر صاحب كلّ سيرة حياته ذهنيًّا في عنوان محدَّد، ثم اختار ألفاظ هذا العنوان في بنية اسميَّة إسناديَّة وصفيَّة قوامها الموصوف والصفة؛ ولمَّا كان المعنى مختزنًا ومتصوَّرًا ذهنيًّا تعدَّدت الألفاظ والتعبيرات المبيِّنة لهذه التصوُّرات الذهنيَّة؛ فهي البئرُ الأولى عند الفلسطينيّ جبرا إبراهيم جبرا، ورحلةٌ جبليَّةٌ عند الفلسطينيَّة فدوى طوقان، وأشياءُ شخصيَّةٌ عند السوريّ عبد السلام الجبيلي، وشظايا من عمري عند السوريّ عبد المعيد الملوحي،

وإبحارٌ بلا شطآن عند الفلسطينيّ هارون هاشم الرشيد، وصفحاتٌ من تجربتي عند المصريّ عثمان أحمد عثمان، وأيامٌ من حياتي عند السعوديّ زهير أحمد السباعي، وسنواتٌ من عمري عند السعوديّ حماد بن سليم بن عرادي البلوي، ورحلتي مع رسائل النور عند العراقيّ إحسان قاسم الصالحي، وحياةٌ غيرُ آمنة عند الكويتيّ شفيق العترا، وحياتي في حكاياتي عند المصريّ حسن الشافعي.

يتبيَّن في العنوانات المختارة إسهام البيئة والثقافة في التصوّرات الذهنيَّة في عتبات السير الذاتيَّة العربيَّة؛ ففي عتبة السيرة الفلسطينيَّة: (البئر الأولى) يظهر أثر البيئة وعمق الأحداث السياسيَّة والاجتماعيّة التي تعيشها فلسطين وما فيها من ظلمات وأهوال وآمال وآلام ومحن ومنح، كذلك يلمح في عتبة (رحلة جبليَّة) أثر المتاعب والظروف التي يعانيها الفلسطينيُّون في حياتهم الصعبة القاسية المريرة المفعَّمة بالوقائع والأحداث، والأمر نفسه في عتبة (إبحار بلا شطآن)؛ ففيها ما يوحي بالتيه وعدم الاستقرار وعدم وضوح النهايات، فكلِّ عتبة نتاج تصوُّرات ذهنيَّة إثر تجارب وخبرات كامنة عرفانيًّا في التركيب الوصفيّ لعتبة العنوان.

وفي عتبة (شظايا من عمري)، أُخذت كلمة شظايا من تشظَّى الشيء أي تفرَّق وتشقَّق وتطاير شظايا، والمفرد الشظيَّة وهي الفلقة من العصا ونحوها، وهو من التشظِّي أي التشعّب والتشقّق، والشظيَّة من الجبل قطعة قطعت منه كالدار أو أصغر منها أو أكبر منها.(77)

لقد أنتجت التصوّرات الذهنيَّة لفظ (شظايا) الذي يوحي بالحرب والقتال والافتقار إلى السلم والأمن والأمان.

كما يتجلَّى أثر البيئة الجبليَّة الصحراويَّة في الدلالات العرفانيَّة لعتبة (شظايا من عمري)؛ فكلمة شظايا وهي القطعة من الجبل وهي العصا؛ ومن ثم يتَّضح التخيل والانزياحات الدلاليَّة في هذه البنى الاستعاريَّة.

(77) انظر: لسان العرب، (شظي).

تتبيَّن التصوُّرات الذهنيَّة في عتبات السير الذاتيَّة السوريَّة في عتبة (أشياء شخصيَّة) في كثرة الأحداث الحياتيَّة المعاشة وعدم التنظيم أو الاستقرار في حياة الأشخاص وعدم وجود معايير محددة يلتزمها الجميع.

ويتبدَّى أثر البيئة في الدلالة العرفانية لعتبة العنوان (إبحار بلا شطآن)؛ فهو متأثر بالبيئة الساحليَّة التي اعتاد أصحابها ركوب البحر، ومرورهم بالعواصف والأهوال والرياح وهم في عرض البحر فلا يعرفون اتِّجاه الشاطئ؛ هكذا ظهرت الانزياحات الدلاليّة والتخيّل في التركيب الاستعاريّ لعتبة العنوان (إبحار بلا شطآن).

جاءت عتبة العنوان –نتيجة التصورات الذهنيَّة- بنية تركيبيَّة اسميّة إسناديّة، حُذِف صدرها (المسند إليه)، تقديره (هذا / هذه / هو / هي / إنَّ واسمها)، أمَّا العجز (المسند) فقد جاء بنية وصفيَّة تتركَّب من المسند الموصوف وصفته، فأمَّا الموصوف فإنَّه تنوَّع بين المفرد المذكَّر النكرة (إبحار)، والمفرد المؤنَّث المعرفة (البئر– حياتي – مسيرتي - رحلتي) والمفرد المؤنَّث النكرة (رحلة – حياة) وجمع التكسير النكرة (أشياء – شظايا – أيام)، وجمع المؤنَّث النكرة (سنوات – صفحات).

وأمَّا الصفة فقد تنوَّعت بين المفردة (الأولى - جبليَّة - شخصيَّة – غير آمنة)، والظرفيَّة (من عمري – بلا شطآن – من تجربتي – من العواصف – مع الحياة – في حكاياتي – مع رسائل النور – من صفحات العمر – من حياتي).

لكلِّ عنوان من العنوانات السابقة بنيتنان، إحداهما: سطحيَّة ظاهرة منبثقة من الأخرى: البنية العميقة، وقد اقتصرت عتبة العنوان على التركيب الوصفيّ (الموصوف + الصفة)؛ من أجل الاختصار والاقتصاد اللغويّ بعد حذف المسند إليه المفهوم من السياق، ومن أجل بروز الخبر المتجسِّد في الموصوف وصفته ومنحه سلطة دلاليَّة؛ فيكون في العنوان بنية سطحيَّة وصفيَّة (التركيب الوصفيّ) وبنية عميقة إسناديَّة (التركيب الإسناديّ).

البنية السطحيَّة: المسند (الموصوف) + الصفة= البنية الوصفيَّة.

البنية العميقة: المسند إليه المحذوف + المسند (الموصوف) + الصفة= البنية الإسناديَّة.

تكمن في هذه البنية التركيبيَّة الوصفيَّة الدلالات العرفانيَّة إثر التصوّرات الذهنيَّة، في هذا المُخرَج المختار في المركّب الوصفيّ السطحيّ الظاهر الذي تطابقت فيه الصفة مع الموصوف نوعًا وجنسًا وعددًا وإعرابًا؛ ولهذا التطابق التركيبيّ المعلَن دلالات عرفانيَّة؛ ومن ثم اختير هذا المركِّب ليكون عجز المركَّب الإسناديّ العميق.

ثالثًا: الخيال: أفصحت التصوّرات الذهنيَّة في العتبات السابقة عن انزياحات دلاليَّة متخيلة تجلَّت في الاستعارات المتمثِّلة في العتبات الآتية: (البئر الأولى – رحلة جبليَّة – الرحلة الأصعب – أشياء شخصيَّة – شظايا من عمري – إبحار بلا شطآن – صفحات من تجربتي)

يتجلَّى في هذه العتبات ذات البنيات الاستعاريَّة أنَّ السيرة الذاتيَّة **هي مجال الهدف،** بينما تنوَّع **مجال المصدر** بين البئر والرحلة والأشياء والصفحات والشظايا والإبحار ...

توحي عتبة (البئر الأولى) بدلالات عرفانيَّة كامنة في هذا البنية الوصفيَّة الاستعاريّة الانزياحيَّة، منها مدى العمق والظلام والمصاعب التي تخيَّلها الكاتب حينما اختار عتبة العنوان، ويؤكِّد ذلك اختياره للصفة (الأولى)؛ ممَّا يدلُّ على ما جال في خاطره من تصوُّر عقبات حياتيَّة كثيرة، قيَّد منها سيرته بقيد العدد، الوارد في قيد الصفة العدديَّة (الأولى).

وثمَّة دلالة عرفانيَّة أخرى مكمنها **البيئة** التي يعيش فيها الكاتب التي تتّخذ من الآبار رمزًا للخير والنماء وقتل الجدب القاحل في الصحراء، فضمَّن عتبة العنوان خيالاً كامنًا في الانزياح الاستعاريّ (البئر الأولى) التي هي بادرة الخير والثمرات في المكان، ومصدر جذب أفئدة الناس وجعلها تهوي إليه.

وفي عتبة (رحلة جبليَّة)، لفظ (رحلة) في المعجم يعني الارتحال[78]، والعتبة بنية وصفيَّة استعاريَّة يكمن فيها دلالات عرفانيَّة متنوِّعة، إثر التصوّرات الذهنيّة، منها أثر البيئة الفلسطينيَّة؛ حيث اعتاد الكاتب وأبناء جيله المصاعب والمشاقّ والمغامرات وألفوا ذلك كلَّه؛ فغلب هذا التأثر البيئويّ على التصوّر الذهنيّ للكاتب في صياغة عتبة العنوان.

(78) انظر: لسان العرب، (رحل).

وتتجلَّى الدلالة العرفانيَّة في عتبة (رحلة جبليَّة) حيث وصف رحلته بكلمة (جبليَّة)، فقيَّدها بنوع معيّن وجاء الصفة والموصوف نكرتين ممَّا يوحي بعموم هذه التجربة وتكرارها رغبة فيها؛ ممَّا يفصح عن الدلالات العرفانيَّة الكامنة في التركيب الاستعاريّ من مشاقّ ومتاعب وصعوبات ومعاناة يواجهها المؤلّف وأقرانه في مجتمعهم.

وفي عتبة (أشياء شخصيَّة)، (أشياء) جمع شيء، وهو مذكَّر يقع على كلَّ ما أخبر عنه(79)، وقد جاء هذا المسند الموصوف نكرة لإفادة العموم، ثمَّ قيَّد ذلك بوصف نكرة (شخصيَّة)، فدلَّ تنكير الصفة على ذاتيَّة هذه الأشياء؛ وقد حذف المسند إليه من أجل بروز المسند وصفته.

وفي عتبة (صفحات من تجربتي)، المعنى العجميّ: صفحتا الورق وجهاه اللذان يكتبان(80)، وحذف المسند إليه من أجل بروز المسند وصفته؛ فالكاتب صور حياته كتابًا يضمّ مجموعة صفحات، جاءت سيرته الذاتية جزءا من هذه الصفحات صوَّر فيها تجربته الحياتيَّة.

كما تتجلَّى الاستعارة الزمانيَّة من خلال ألفاظ العنوان ذات البعد الزمني في العتبتين (أيام من حياتي – سنوات من عمري)؛ ففي العتبة الأولى كان البعد الزمانيّ هو (الأيام)، بينما امتدَّ البعد الزماني في العتبة الثانية ليكون (السنوات)، مع كون اللفظ الدالّ على الزمان نكرة مقيَّدة بالوصف؛ إذ جاءت موصوفة بقيد شبه الجملة (الجار والمجرور) في العتبتين.

رابعًا: التجسُّد: يتبدَّى من العنوانات التي أنتجتها التصورات الذهنيَّة أنَّ مقولة السيرة الذاتيَّة جُسِّدت في هيئة بئر عميقة مظلمة، وفي هيئة رحلة جبليَّة صعبة لها بداية ونهاية وبها زاد وعتاد، وفي هيئة أشياء شخصية متفرِّقة، وفي هيئة صفحات كتاب يحوي مجموعة من الأوراق، يختصُّ بمؤلفه، وفي هيئة شظايا، وفي هيئة بحار لا يجد الشاطئ ... ممَّا يبيّن ركن التجسُّد في الدلالات العرفانيَّة لعتبة العنوان في السير الذاتيَّة العربيَّة.

(79) انظر: لسان العرب، (شيأ).

(80) انظر: لسان العرب، (صفح).

ومن حيث البروز في عناصر التركيب المتولَّد من التصوّرات الذهنيَّة، برز المسند الموصوف في العتبات (البئر – شظايا - صفحات)، وفي العتبات الأخرى برز ركنا البنية الوصفيَّة معًا: (رحلة جبليَّة – أشياء شخصيَّة – إبحار بلا شطآن).

النتائج:

بعد التطواف في بحث (الدلالة العرفانيَّة والبنية التركيبيَّة لعتبة العنوان في السير الذاتيَّة العربيَّة)، توصَّل البحث إلى النتائج التالية:

-مرَّت اللسانيَّات منذ نشأتها حتى السنة الثالثة والعشرين بعد الألفين (2023م)، بعهدين، أوَّلهما: عهد التركيب؛ إذْ كان التركيبُ هو البؤرة والأصل الأوَّل الذي يفصح عن الدلالات المرجوَّة أو المقصودة، وآخرهما: عهد الدلالة العرفانيَّة أو التصوُّرات الذهنيَّة؛ إذْ تتمخَّض فيه التصوُّرات الذهنيَّة عن الأطر التركيبيَّة، ويمكن التعبير عن هذه الثنائيَّة بما يلي:

- العهد1: أفصح التركيب عن الدلالة= (التركيب أوَّلاً).
- العهد2: تمخَّضت العرفانيَّة عن التركيب= (الدلالة أوّلاً).
- اللغة كلّها عرفان، والتركيب فرع الدلالة العرفانيَّة؛ ومن ثم فالعتبات المتفجِّرة من التصوُّرات الذهنيَّة تستنطق دلاليًّا ومعجميًّا ولفظيًّا وتركيبيًّا وتداوليًّا وخطابيًّا وبلاغيًّا ... فتفصح عن الأسرار الدلاليَّة العرفانيَّة؛ ممَّا أنتج تعدُّدًا لفظيًّا وتركيبيًّا في عناوين الجنس الأدبيّ الواحد (السير الذاتيَّة) في الأقطار العربيَّة.
- إنَّ العنوان المنبثق عن التصوُّرات الذهنيَة وما يحويه من دلالات عرفانيَّة يُحيي النصَّ أو يُميته، فحياة النصِّ تداوليَّته وقراءته، وموت النصِّ اندثاره دون تداوليَّة أو قراءة.
- لا توجد في مقولة (السيرة الذاتيَّة) ثيمة / تيمة أو موضوعة يتمركز حولها العنوان الرئيس مثل السرد الروائي والقصصي والنصوص الشعرية والنثرية كالخطب وغيرها ...
- لعتبة العنوان دور في إيضاح قصديَّة التصوّرات الذهنيَّة؛ فالعنوان يتعالق بما هو لغويّ لفظيًّا ودلاليًّا وبلاغيًّا، وبما هو غير لغويّ، من جوانب اجتماعيَّة وثقافيَّة وتاريخيَّة ونفسيَّة وبيئيَّة، مع مراعاة البعدين الزمانيّ والمكانيّ.
- للدلالة العرفانيَّة قدرتان، الأولى: القدرة الذهنيَّة التصوريَّة للمتكلِّم، والأخيرة: قدرة المتكلِّم على اختيار الألفاظ والتراكيب التي تحقِّق الدلالات العرفانيَّة المقصودة، تسهم في ذلك جوانب لغويَّة وغير لغويَّة.

- رغم وحدة الجنس الأدبيّ (السيرة الذاتيَّة) والمضمون المعبَّر عنه بالعنوان، تعدَّدت العنوانات وتنوَّعت لفظيًّا وتركيبيًّا؛ إثر التصوُّرات الذهنيَّة لدى كتَّاب السير الذاتيَّة العربيَّة؛ حيث تمخَّضت الدلالات العرفانيَّة عن كتلة لفظيَّة عنوانيَّة، تتمتَّع بانزياحات دلاليَّة.
- كلّ تركيب سطحيّ ظاهر في عتبة العنوان هو وليد تصوُّر ذهنيّ، أركانه: المقولة والفهم والخيال والتجسُّد؛ ومن ثَمَّ فكلّ لفظ أو تركيب لغويّ مختار في عتبة العنوان هو نتاج التصوُّرات الذهنيَّة ووليدها، وقد أسهم في هذه التصوُّرات جوانب غير لغويَّة، كالبيئة والجوانب النفسيَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة والتاريخيَّة ... مع مراعاة الأبعاد الزمانيَّة والمكانيَّة.
- تسهم عتبة العنوان النصيَّة في سبر أغوار النصّ الدلاليَّة؛ نتيجة مراعاة الاقتضاء النصِّيّ في التصوُّر الذهنيّ لمخرج عتبة العنوان.
- العنوان وليد تصوُّرات ذهنيَّة، أسهمت فيها مجموعة من العوامل، تبيَّنت في المختارات اللفظيَّة التي تحقِّق المقاصد الدلاليَّة، فجاءت في عتبات عنوانيَّة إفراديَّة أو غير إفراديَّة، كلُّها عنوانات مقتصدة لفظيًّا؛ إذ حذف المسند إليه وبرز المسند، سواء أكان مفردًا نحو: طريقي - أيامي – أمواج)، أم مركبًا تركيبًا إضافيًّا نحو: قافلة الحياة – سبيل الحياة – أوراق العمر - رحلة العمر – سجن العمر – رحيق العمر – طريق النحل - غربة الراعي ...، أم مركبًا تركيبًا وصفيًّا نحو: البئر الأولى – شظايا من عمري - رحلة جبليَّة – أشياء شخصيَّة – إبحار بلا شطآن ...
- لعلَّ حذف المسند إليه في العنوان مقصده –بجانب الاقتصاد اللفظيّ- العناية والاهتمام بالركن المذكور وإبرازه وفق التصوّرات الذهنيَّة؛ إذ يجنح الذهن إلى الإيجاز في التركيب بحذف صدره ممَّا يبدع دلالات جديدة مقصودة، وهذا الإصدار الذهنيّ الاقتصاديّ الانزياحيّ يبرز العنصر الهدف المذكور.
- تمخَّضت الدلالة العرفانيَّة أو التصورات الذهنيَّة عن نوعين من البنى التركيبيَّة المحوَّلة في عتبة العنوان في (السيرة الذاتيَّة)؛ **الأوَّل:** البنية التركيبيَّة الإفراديَّة، **والآخر:** البنى التركيبيَّة غير الإفراديَّة، التي جاء فيها المسند مضافًا فتلازم معه المضاف إليه، أو جاء موصوفًا فتلازمت معه الصفة.
- الإسناد الاسميّ علاقة ذهنيَّة معنويَّة بنائيَّة بين المسند إليه والمسند، تحكمهما قرائن لفظيَّة ومعنويَّة، وبينهما وحدة إعرابيَّة، وهما معًا يمثِّلان وحدة لغويَّة جمليَّة متماسكة.

- تتجلَّى التصوُّرات الذهنيّة أو الدلالة العرفانيَّة كمًّا وكيفًا في عتبة العنوان؛ لأنَّ العنوان المبنيّ من كلمة واحدة اختير إثر تصوُّر ذهنيّ، والعنوان المنبيّ من أكثر من كلمة اختير إثر تصوُّر ذهنيّ، كما أنَّ النوع في عتبة العنوان جاء إثر تصوُّر ذهنيّ، وجاء التعريف والتنكير إثر تصوُّر ذهنيّ، وجاء العدد إثر تصوّر ذهنيّ ...
- كلُّ مبنى لفظيّ لعتبة العنوان ناتج عن تصوّر ذهنيّ؛ أي كلّ زيادة أو حذف، أو تقديم أو تأخير، أو تعريف أو تنكير، أو تأنيث أو تذكير، أو إفراد أو تثنية أو جمع، في المخرج التركيبيّ هو نتاج التصوّرات الذهنيّة أو الدلالات العرفانيَّة؛ فثمَّة لُحمة قويَّة بين الدلالة العرفانيَّة وبنية عتبة العنوان النصيَّة واللفظيَّة والتركيبيَّة والمعجميَّة...
- تفصح عتبة العنوان في (السيرة الذاتيَّة) عن علاقة المقاصد الدلاليَّة العرفانيَّة بلغويَّة الألفاظ والتراكيب والبنى اللغويَّة المختارة، كما تفصح عن علاقة التصورات الذهنيَّة بما هو غير لغويّ؛ لأنَّ الدلالات الواردة في بعض العنوانات –إثر التصوُّرات الذهنيَّة- مستوحاة من وشائج عتبة العنوان بالنصّ وما أسهمت به الجوانب الاجتماعيَّة والثقافيَّة والتاريخيَّة والخبرات والتجارب.
- للبيئة وأحداثها بصمة خاصَّة في التصوُّرات الذهنيَّة التي تولَّدت منها التراكيب اللغويَّة؛ إذ يتأثَّر الكاتب ببيئته في أثناء اختيار ألفاظ عنوانات السير الذاتيَّة؛ فيلمح في هذه العتبات القصديَّة الدلاليَّة العرفانيَّة في السير الذاتية العربيَّة الفلسطينيَّة والسوريَّة والسعوديَّة ...
- جاءت عتبة العنوان في السير الذاتيَّة نتاج تصوّرات ذهنيّة عمَّا تمثِّله السيرة الذاتيَّة لأصحابها؛ وفقًا للبيئة والتجارب والخبرات والجوانب الاجتماعيَّة والثقافيَّة والنفسيَّة والتاريخيَّة ... ولذلك فهي تختلف من كاتب لآخر؛ تبعًا لاختلاف البصمة الذهنيَّة.
- رغم وحدة المقولة تنوَّعت ألفاظ عتبة العنوان؛ فكلّ عتبة وليدة تصوُّر ذهنيَّة وفقًا لتجارب الكاتب وما يعتريها من جوانب نفسيَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة وتاريخيَّة؛ فاختيار ألفاظ متعدِّدة مثل: الرحلة والأوراق والسجن والرحيق ... يؤكِّد أسبقيَّة الإدراك الذهنيّ للبنية التركيبيَّة، وتمخضه عنها.

- يتجلَّى في هذه العتبات ذات البنى الاستعاريَّة أنَّ السيرة الذاتيَّة هي مجال الهدف بينما تنوَّع مجال المصدر وتعدَّد إفرادًا وتركيبًا، وتعريفًا وتنكيرًا؛ فهو أمواج وأيام ورحلة وسجن ورحيق وأوراق وقافلة وسبيل وقصَّة وغربة وطريق ولهو وحصاد والبئر والرحلة والشظايا ...

المصادر والمراجع

- أثر اللسانيَّات العرفانيَّة في هندسة المهارات الذهنيَّة انطلاقًا من اللغة، فاطمة سعدي، جسور المعرفة، مج8، ع1، مارس 2022م.
- استراتيجية العنونة ودلالاتها في قصص سناء شعلان، محمد وهاب، مجلة Kiraat، كلية الآداب واللغات، جامعة معسكر، الجزائر، مج8، ع1، مارس 2019م.
- استعارات بها نحيا، جورج لاكون ومارك جونسون، ترجمة: أنور وقيع الله وهمية باعشن، نوافذ3، مارس 1998م.
- الاستعارة القرآنيَّة في ضوء النظرية العرفانيَّة (النموذج الشبكي – البنية التصوريَّة – النظريَّة العرفانيَّة)، عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2014م.
- أمواج (سيرة عراقية)، عبد الله إبراهيم، دار جامعة حمد بن خليفة، الدوحة، قطر، ط1، 2017م.
- الانزياح اللغويّ بين التراث والمعاصرة، محسن طاهر إسكندر، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، ع2، مج 43، 2018م.
- الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبيَّة، أحمد محمد عويس، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
- دراسات في اللسانيَّات العرفانيَّة الذهن واللغة والواقع، عبد الرحمن طعمة وآخرين، تحرير: صابر الحباشة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط1، 2019م.
- دراسات نظريَّة وتطبيقيَّة في علم الدلالة العرفانيّ، محمد الصالح البوعمراني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2009م.
- الدلالة العرفانيَّة الإدراكيَّة وتراجع دور التركيب / الإعراب في إنتاج الكلام وتأويله، منانة حمزة الصفاقسي، اللسانيات العربية، ع2، سبتمبر 2001م.

- دلالة العنوان في المتن الروائي الجزائري، فريد حلمي، مجلة منتدى الأستاذ، ع15، جانفي 2015م.
- دلالة العنوان ووظيفته في رواية اللهب المقدس لمفدي زكريا، يوسف العايب، مجلة مقاليد، ع6، جوان 2014م.
- دينامية النص تنظير وإنجاز، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 1990م.
- سيموطيقا العنوان، جميل حمداوي، دار الريف، المملكة المغربية، ط2، 2020م.
- سيمياء العنوان في الدرس اللغويّ، عيسى عودة برهومة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع97/ 25، 2007م.
- سيميائية العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري، ماجستير، رحيم عبد القادر، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة بسكرة، 2004م.
- عتبات النص الأدبي بحث نظري، حميد لحمدني، علامات، ج46، م12، شوال 1423هـ، ديسمبر 2002م.
- عتبات جيرار جنيت من النصّ إلى المناص، عبد الحق بلعابد، تقديم: سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م.
- علم الدلالة الإدراكيّ المبادئ والتطبيقات، دلخوش جار الله حسين دزه يى، مجلة الآداب، ع110، 2014م.
- العنوان في الأدب العربي النشاة والتطور، محمد عويس، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1988م.
- العنوان ودلالاته في روايات الطاهر وطار، سمير خالدي، مجلة الفضاء المغاربي، مج3، ع1، فبراير 2019م.
- العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
- في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، خالد حسين حسين، دار التكوين، د.ت.

- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، د.ت.
- اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، بريجيت يرلش وديفيد كلارك، نقله عن اللغة الإنجليزية: حافظ إسماعيل علوي، مجلة أنساق، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، مج1، ع1، مايو 2017م.
- مفهوم مصطلح العتبات النصية، خالد بن سريان ساري الحربي، فكر وإبداع، ج130، أكتوبر 2019م.
- مقاربة العنوان: البنية والدلالة – رواية (النص الناقص) لعائشة الأصفر أنموذجًا، نعيمة محمد الفلاح، مجلّة الساتل، السنة 13، ع21، سبتمبر 2019م.
- من اللسانيَّات التوليديَّة إلى اللسانيَّات العرفانيَّة تحوّلات المباحث والمفاهيم، عبد السلام عابي، والنذير ضبعي، مجلّة اللسانيَّات، مج24، ع1، 2018م.